الاستعمال الصرفي ومظاهره في التعبير القرآني

دراسة المعنى الصرفي ومعطياته التفسيرية

د.رياض كريم عبد الله البُديري
جامعة الكوفة / كلية الفقه

الملخص

يشغل المعنى جزءا كبيرا من مباحث العلوم النظرية كالفلسفة والفقه واللغة والبلاغة والنقد الأدبي وغيرها. ومن هنا يبدو أن له بعدا تاريخيا في تحديد مفهومه المعرفي بما هو تمثيل لمقاصد الكلام.

يتفرع المعنى بحسب العلوم المبحوث فيها عن مقاصد الكلام، فهو في النحو المعنى النحوي، وهو المعنى البلاغي في علم البلاغة، والمعنى الصرفي في علم الصرف، وكل هذه الفرع من المعنى يمكنها بحسب قوة إحكام آلية الوصول إليها أن تعطي فهما واسعا وعميقا للنص القرآني ومن بينها موضوع هذا البحث وما يسعى إليه من توظيف المعنى الصرفي للألفاظ القرآنية في قراءته التفسيرية لموضوعاته المتعددة والمتنوعة.

إن القرآن الكريم يستعمل الوزن الصرفي دون غيره مما يشاركه في بابه ولا ريب أن التعبير بالمصدر، مثلا، له دلالة غير تلك التي للفعل فما الحكمة في اختيار بنية المصدر دون أختها التي تشاركها في بناءها الأصلي، وما الحكمة في اختيار المصدر دون الفعل، أو بنية اسم الفاعل، أو صيغة المبالغة؟ فإذا سلمنا أن لكل حرف وجد في القرآن الكريم مساهمة في بناء عباراته وجمله فانه يمثل بهذا الوجود حكمة ما فما هذه الحكم؟

إن ذلك يكون لحكمة أداء المعنى القرآني الذي يراد الإشارة إليه وهو في الوقت نفسه إشارة إلى اختلاف المعاني تبعا لاختلاف البنية الصرفية بالملازمة ذلك بأن المعنى الصرفي خدم للمعنى القرآني فثمة فرق في استعمال صيغة (فَعْلَة) مثلاً في القرآن الكريم واستعمال أختها (فِعْلَة) وذلك في قوله تعالى:﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾، (الدخان ٢٧). وقد استعملها القرآن مرة واحدة لكنه استعمل النِعْمَة أربعا وثلاثين مرة كقوله تعالى:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾، (إبراهيم ٣٤). فانه اختيار حكيم لأداء المعنى الدقيق في التعبير عن المرة الواحدة المنقطعة كـ(الضَرْبة والشَتْمة) عندما يكون موضوع الآية يعبر عن المعنى المنقطع كما في سياق الآية من سورة الدخان ذلك بأن قياس هذا المعنى أن يكون على (فَعْلة).

وفي التعبير عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من التنعم متعدد الجهات ومما يكون اعتيادا للإنسان كـ(الجِلْسَة والرِكْبة) فكان هذا المعنى يقتضي التعبير على زنة (فِعْلة) لتكرر الأنعام منه تعالى.

وإذا كانت المادة اللغوية من الإنعام والتنعم قد صيغت بوزنين صرفيين مختلفين فذلك لحكمة يقتضيها أداء المعنى وبدقة متناهية بحسب موضوع الآيتين ويكون المعنى الصرفي وليد تلكم البنية ووزنها مما يعطي قراءة تفسيرية للقرآن الكريم. ومن هنا يستدل البحث على اختلاف المعنى في استعمال مصادر عدة لفعل واحد من قوله تعالى:﴿ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، (الجن: ١). فلم يقل: (عجيباً) في حين جاء في هذه الصيغة في قوله تعالى:﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، (ق:٢) واستعمل في موضع ثالث المصدر (فُعال) قال تعالى:﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ *أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، (ص:٤ـ٥). فلا بدّ أن ينبع هذا التنوع في استعمال المصدر من تنوع المعنى القرآني وبدقة كبيرة تماما كاستعمال كاف الخطاب في آية وعدم استعمالها في الآية نفسها بلفظها وموضوعها من قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، (الأنعام: ١١٢، ١٣٧ على الترتيب). ويشبه هذا التنوع في الخطاب القرآني التعبير عن المعنى الدقيق ذي الموضوع الواحد بنمطين من التركيب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، (البقرة: ٤٨). وقوله

تعالى:﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾، (البقرة: ١٢٣). واستعماله (سُخْرِياً وسِخْرِيا، وضُـرٌ وضَرّ) فذلك مفصل عظيم في دقة اختيار الأبنية الصرفية لدقة المعاني فلا يكفي في تفسيرها القول أن ذلك راجع إلى اختلاف اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم.

ويشمل ذلك جميع أبنية العربية مما درسه هذا البحث وما ندرسه في بحوث أخرى الباحث فـي صدد إنجازها إن شاء الله تعالى فأسأله أن يلهمنا الصواب في فهم دقائق الكتاب إنه أهل الخير ويجعله شفيعا يوم المعاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على سوابغ نعمائه،وحسن آلائه ،والصلاة والسلام على حبيبه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا وبعد...

١- المقدمة

إن قراءة القرآن الكريم تميزها دقة النظر في تفحص تراكيبه التي يتشكل من مجموعها بناء آياته في نظام نحويّ معجز لأداء معانيه.يقفني هذا النظر على فواصل الآيات ،وتواصـل سـياقها وتعـدد موضوعاتها منذ الصغر إذ ولعت بقراءة القرآن وحفظه بعد أن وجهني إليه سيدي الوالد(مُـدَّ الله فـي عُمُرُهُ ومتعني بطول بقائه).

إن هذا التوجه المبكر من حياتي جعلني أتحرى من خلال دراستي أسـاليبه فـي التعبيـر عـن المعاني،والنظر في هيئة مفرداته صرفيا،وبنائها النحوي فسجلت قدرا كبيرا من الملاحظات النحويـة والصرفية والأدبية وأمثلتها من القرآن الكريم،واستعمالاته الدقيقة فكان عنوان هذا البحث.

إذا كان الدرس الصرفي صعباً،متداخلا تتجاذبه أصول الألفاظ ثلاثية ورباعية وتتنازعه الحركات في بنية الكلمة،وكثرة مصادره من المعاجم اللغوية،والمؤلفات الصرفية فإني وجدت في ذلك متعة كبيرة حين توصلت فيه إلى تطبيق معرفي بأن الصرف علمٌ دلالي لا يقف عند معرفة بنية الكلمة وإرجاعها إلى أصلها وحسب؛بل يتعدى ذلك إلى دراسة دلالة الصيغ واشتقاقها،ومعانيها التي يجود بها السياق.

لقد تعمق هذا في نواته الأولى بعد أن تلمذت للأستاذ الدكتور (هاشم طه شلاش)إذ قـرأت عليـه كتاب(معاني الأبنية) للدكتور(فاضل صالح السامرائي) في مرحلة الدكتوراه. فالله احمد وعلى نبيه وآله الطاهرين أصلي وأسلم وأسأله القبول.

٢- بين يدي البحث

نشأ موضوع هذا البحث عن سؤالٍ مفاده:إن القرآن الكريم يستعمل الوزن الصرفي دون غيره الذي يشاركه في بابه،فلا ريب أن التعبير بالمصدر له دلالة غير تلك التي تظهر عندما يعبر بالفعل وما الحكمة في اختيار بنية المصدر المعنية دون أختها أو بنية أسم الفاعل أو صيغة المبالغة.؟

إن ذلك يكون لحكمةٍ في أداء المعنى القرآني الذي يراد الإشارة له والالتفات إليه وهو في الوقت نفـسه إشـارة إلـى اخـتلاف المعنـى تبعـا لاخـتلاف البنيـة الـصرفية.فثمـة فـرق بـين استعمال(نَعمَة)واستعمال(نِعمَة).قال تعالى [وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فاكهيين](الدخان ٢٧)،وقد استعملها القرآن مرةً واحدةً لكنه استعمل(نِعمة)أربعاً وثلاثين مرةً كقوله تعالى [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ](البقرة ٢٣١)وذلـك مبنـي بحـسب مقتضى السياق وموضوعه.

فإنه استعمل(نَعمَة)للحديث عن قوم فرعون المغرقين انه تركوا جنات وعيون وحسن حال فكـان ذلك نَعمَةَ لم تتكرر عليهم لأنهـم تركوهـا.فهـي أنعـام وحـسن حـال لمـرة واحـدة ووزنهـا

الصرفي(فَعلَة)[1]على قياس الضَربَة والشَتمَة ونحوهما مما يحصل فعله مرةً وينقطع فهي من التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل وقد تطلق على القليل ولا تطلق على الكثير منه.

لكن (النِّعمة)استعملت في القرآن الكريم بحسب موضوع سياقها في التذكير كقوله تعالى [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا](إبراهيم ٣٤) ونعمة الله هي ما انعم الله على خلقه بدءاً من الخلق إلى ما لا نهاية فهو كثير متكاثر حتى يبلغ من نفس الإنسان مبلغ العادة والسهولة فلا يلتفت إليه وربما من هنا جاء التذكير[وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ](البقرة ٢٣١).

فالنعمة هي ما تبنى بناء الحالة الدائمة المتكررة التي يكون عليها الإنسان(كالجِلسَةِ والرِّكبة)[2]وهي تقوم مقام الجنس فتقال للكثير والقليل.

ومن هنا يتضح أن الموضوع يتحكم في اختيار المفردات (الوحدات البنائية)التي يتكون من تآلفها وبنائها سياق النص القرآني.فالدقة في اختيار الألفاظ حكمة كبيرة في أداء المعنى الدقيق.

ومن هنا يستدل على اختلاف المعنى في استعمال المصدر(عجب)من قوله تعالى [اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا](الجن ١) ولم يقل عجيبا في حين جاء بصيغة عجيب في قوله تعالى[بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ](ق ٢) واستعمل المصدر (عجاب)في قوله تعالى [وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ](ص٤-٥).وكاستعمال كاف الخطاب في آية،وعدم استعمالها مع الآية نفسها بلفظها وموضوعها وهي مكررة في موضع آخر كقوله تعالى [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ](الأنعام ١١٢) وقال تعالى [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ](الأنعام ١٣٧).

يلحظ الباحث هنا أن ثمة تنويعاً في الاستعمال يتبعه اختلاف المعاني التي يقصد إليها،تماما كما يختلف المعنى في دقائقه في التعبير عن موضوع واحد بنمطين قال تعالى [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ](البقرة ٤٨)وقال تعالى [وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَاتنفعها شفاعة ولا هم ينصرون](البقرة ١٢٣) واستعماله سُخريا وسِخريا،وضَر وضُر وذلك مفصل عظيم في اختيار الأبنية الصرفية لدقة المعاني فلا يكفي تفسير ذلك القول بأنه اختلاف اللهجات التي نزل بها القرآن .ويشمل ذلك جميع أبنية العربية مما يدرسه هذا البحث،وما تدرسه بحوث أخرى إن شاء الله تعالى.فاسأله أن يلهمنا الصواب إنه أهل الخير ويجعله شفيعا يوم المعاد.

٣- فهم المعنى قراءة معرفية للقرآن الكريم

يشغل المعنى جزءاً كبيرا من مباحث العلوم النظرية كالفلسفة واللغة والفقه والبلاغة والنقد الأدبي وغيرها. ومن هنا يبدو أن للمعنى بعدا تاريخيا في تحديد المفهوم المعرفي الكلمة فإن الوقوف على اشتقاقها من خلال كلمات اللغويين في تحديد معناها يرسم الطريق بدقة في النظرة إلى عمقها،ومدى أهميتها في إدراك النصوص،وقراءة أسرارها.

فلا مشكلة أولا،في فهم كلمة(المعنى) لغويا؛ ذلك بأن معناها أمر يشترك العقلاء جميعا في تبادره إلى الذهن[3]فالمعنى،من عنيت بالقول كذا،أردت وقصدت ومعنى كل كلام مقصده[4].وإذا كان مفهوم كلمة المعنى هو(القصد)فإننا نبحث عن مقاصد المتكلم في طيات النص وكلما ارتفع مستوى قيمة النص غمض المعنى واختفى مقصد المتكلم في فنية النص من خلال أساليب التعبير عن المراد ثانيا.إذ يخلق الخطاب القرآني تفاعلا مع وعي المخاطب لدفعه إلى حقل القناعة بكلياته[5]والمخاطب يتفاعل بقدر حيازته على آليات الإدراك المعرفي التي تمثل استعداداً معرفياً في التفاعل مع الخطاب القرآني،فثمة إدراك فطري يشترك فيه العالم والجاهل يقابله الإدراك المعرفي الذي ازعم.فثمة استعداد فطري يمثله الرضا النفسي عن تلقي الخطاب القرآني والتفاعل معه.

إن فهم المعنى يبدو في أول أمره،أمرا سهلا لا يحتاج إلى جهدٍ كبير ،فإن الألفاظ التي تتشكل المعاني والمقاصد من خلالها بمحتوى موضوعي هي التي تتكفل ببيان هذا المعنى وبحسب سعة المعرفة اللغوية (المعجمية) للألفاظ.

هب أن هذا هو المعنى الأولي،فهل يسمى هو المعنى الظاهر،ومشهور أن ظواهر القرآن حجة؛لكنا سرعان ما نعدم سهولة فهم هذا المعنى الأولي الذي تجتمع ألفاظ السياق لرسم صورته اللغوية أو المعجمية،ذلك إذا ما نظرنا إلى آيات القرآن الكريم في هدي مفهوم السياق،والصورة البلاغية وما يُستوحى منها،وفي هدي أساليب تأليف الكلام من الجهة النحوية،من تقديم وتأخير،وحذف وإضمار وتضمين ونحو ذلك؛وسر اختيار البنى الصرفية ودلالاتها وفي هدي الدلالة الصوتية،وصفات الحروف ومخارجها فسرعان ما يعود المعنى،في آخر أمره،أبجدية يجب الإحاطة بها،وفهرسة معرفية دلالية.فإذا كان المعنى في مرحلة التطور فكرة مجردة عن آثارها الموضوعية في الخارج،هذه الفكرة تختلف صورتها الذهنية بحسب القدرات الفعلية بمعناها الواسع فإن إدراك هذه الفكرة في واقع موضوعي خارج التصور الذهني للمنشئ يكون بحسب القدرات المعرفية في فهم الكلام وإحكامه،والتوصل إلى أسراره الدقيقة .فالدلالات داخل النص توظف تجاه إنتاج بنية الخطاب عموما،والخطاب القرآني خاصة. (٦)

ومن هنا يمكن أن نقرر أن قراءة النص الأولى هي قراءة تعريفية تقفنا على أساليب السياق المقروء،وثمة قراءة ثانية معرفية تستعمل هذه المعارف التي نشأت خدمة للقرآن الكريم،والتي موضوعها اللغة،استثناءاً لمباحث العقائد في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،تستعمل هذه المعارف (اللغوية)أداة لفهم المعنى وتكون القراءة حينئذ قراءة معرفية،لا قراءة معجمية تقف على معاني الألفاظ وترسم دلالاتها.فيكون المعنى الكلي للخطاب القرآني معنىً معرفيا يّنشأ من فهم سر التأليف نحوياً ،ومن فهم سر استعمال البنى الصرفية المتنوعة.كاستعمال عجب،وعجاب،وعجيب،واستعمال كاف الخطاب مرة وتركها أخرى في سورة واحدة واستعمال الفعل مرة ومصدره أخرى وغير ذلك، وسيأتي بيانها إن شاء الله .

فالمعنى الذي يتوصل إليه من خلال فهم أسرار معاني الأبنية الصرفية،والسؤال عن السر في اختيارها واتساقها في السياق العام للخطاب القرآني هو المعنى الصرفي للاستعمال اللغوي في القرآن الكريم،وهو موضوع هذه الدراسة.

فإذا ما انتهى بنا المطاف إلى الوقوف على المعنى الصرفي فإنه سيكون تفسيرا يترجم أسرار القرآن ويصور دقائقه؛ذلك بأن اللغة بعدّ معرفي أصيل للإفصاح عن المعاني الكلية للخطاب القرآني،وحيازة هذه المعرفة وإحراز الدقة فيها يقفنا على المعنى الصرفي التفسيري،وفي مقابله الإخلال في توظيف هذا البعد المعرفي للوصول إلى أسرار الخطاب ومعناه يقفنا على المعنى غير الدقيق.وذلك من خلال تحليل أداة المعنى الصرفي،وهي البنية اللغوية التي توصلنا إلى إدراك المعنى التفسيري للقرآن الكريم.

وإذا ارتبط فهم المعنى بالقراءة وهي معرفة.أي ارتبط(بمعرفة القراءة)فإن هذه القراءة تغدو في بعض أوجهها تشبه الخيال،ليس أي خيال،إنه الخيال المعرفي إذ الكلمات تؤدي إلى الصور الذهنية التي تخضع للتأمل،تأمل السياق،والنظام النحوي في تأليف ألفاظه،وحكمة انتقاء البنى الصرفية،ودلالاتها،ونظامها الصوتي،فيه وذلك التأمل المعرفي لابد أن يكون فنيا(ذوقيا وأدبيا) إذ ينشأ عليه إدراك لحقائق الخطاب.

ومن هنا تصبح الكلمات رموزا تشير إلى المعنى وإذا كانت قراءة النص الشعري أو القصصي تؤدي بأن((نفهم العناصر عن طريق إيجاد علاقات متبادلة بينها داخل سياق أوسع ،وهذا السياق بدوره ينبغي أن يعاد تقويمه؛وبذلك تثير هذه العملية إعادة النظر في عناصر السياق،وهكذا،فقراءات

أيسر،بهذا المفهوم تنطوي على حشو ففهم النتاج يقوم بدور عملية الفهم))(٧)إن قراءة النص القرآني تكون معرفة قرائيّة عن طريق إيجاد علاقات ألفاظ السياق الذي تهدف القراءة المعرفية إلى اكتشاف أسراره وخباياه المعنوية .

ولا توجد قراءة حشوية فإذا كان ذلك ((الحشو يمثل الثمن الذي يدفعه المرء من أجل نهج نقدي يتمسك بصرامةٍ بالنموذج النظري))(٨) فإننا نعتقد أن الواجب على المرء في القراءة القرآنية أن يعيد القراءة فواحدة نحوية والأخرى صرفية وبلاغية وبهذا تكون قراءة معرفية أو انه لا يكون قارئا البتة.

٤ـ دلالة الأبنية الصرفية

إن وضع الحروف والألفاظ في نظام تأليف الكلام لا يمكن أن يكون اعتباطياً ولذلك يجب تنظيم مجموعة من الأسئلة في فهم الخطاب بصورة أنشودة يرددها كل باحث عن المعنى.تلك الأسئلة هي لماذا يكون النص على هذه الصورة من تأليف الألفاظ؟ وهذه المفردة أو تلك هل يمكن غيرها؟وإذا أمكن فما الفرق في المعنى بين ما هي عليه وما يكون عليه غيرها؟وفي تصوري أن الإجابة عن هذه الأسئلة هي الطريق إلى المعنى.

وفي حدود موضوع هذه الدراسة نسأل لماذا استعمل القرآن الكريم هذه البنية في هذه الآية واستعمل غيرها في آية أخرى وما الفرق في المعنى بينهما؟.فنجد أن القرآن استعمل الوزن الصرفي(فعول) جمع ذكر،ذكور ،واستعمل في الجمع نفسه(فعلان)ذكران.

إن الكلمة في القرآن الكريم هدية لنا؛ذلك بأنها طريقة في امتلاك المعنى.فثمة طاقة في اللغة تنقل إلينا المعاني،وإدراك سر هذه الطاقة هو المعرفة في آلية إدراك المعنى وإيجاد الصلةِ بين الألفاظ والمعاني.

درس العلماء بعض الأوزان الصرفية وبيان دلالاتها وهو درس في الحقيقة لتفسير العلاقة بين اللغة والموضوع.

وأرى انه لابد من وجود ضوابط علمية في هذه العلاقة هي(العمق،الوضوح في الرؤيا،العموم(والشمول)الضبط)هذه الضوابط من شأنها تأهيلنا للوصول إلى محطة المعنى وأسراره وتفتح حسنا وفكرنا تجاه آفاق موضوعية جديدة في الإبداع وفي الكشف عن أسرار القرآن ودقائق حكمته.

التفت النحويون والصرفيون إلى معاني بعض المفردات في أوزان معينة((لأن هذه الأبنية قد تجيء لمعان كثيرة تحتاج إلى استقراء عام لمعجمات اللغة للوصول إلى المعاني الأخرى التي لم تذكرها كتب اللغة والصرف))(٩) وفي هذا دلالة كافية على أن لكل بنية صرفية معنى علينا أن نستنطق السياق دلالته ونتخذه طريقا إليها .

قد يكون للفعل الواحد ،ولا سيما الفعل الثلاثي، مصادر عدة مثل الفعل (لقي) فقد ذكر له السيوطي (٩١١ هـ) عشرة مصادر ، والفعل مكث كذلك (١٠) وهذا التعدد يتبعه تعدد المعاني فاختلاف المعنى سبب رئيس في اختلاف أبنية المصادر فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر أو يكثر استعماله فيه (١١)

والخطاب القرآني يفرق بدقة بين هذه المعاني ويستعمل لها البنية الصرفية التي تطابق المعنى المقصود.من ذلك جاء للفعل ضَرَّهُ مصدران فيقال:ضَرّاً،وضُرّاً.وفي اللغة((الضَّرُّ ضد النفع وبابه ردّ وضارَّهُ بالتشديد بمعنى ضره والاسم الضرر...والضُّرُّ بالضم الهزال وسوء الحال))(١٢) وقد تنبه الزمخشري (٥٣٨ هـ) إلى هذا الفرق في تفسير قوله تعالى [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ](الأنبياء٨٣) قال ((الضر –بالفتح– الضرر في كل شيء، وبالضم – الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءَين لافتراق المعنيين))(١٣)وفي هدي المعنى الصرفي فسر

الزمخشري الضُر والضَر في غير واحد من مواضعه من القرآن الكريم[١٤] وهذا ما نروم إثباته أن المعنى الصرفي مفتتحا لتفسير الآية وأسرارها.وهذا مفصل دقيق في تشخيص المعنى من خلال البنية الصرفية قال تعالى [قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا](الرعد ١٦ ،وينظر يونس٤٩ ،والأعراف ١٨٨) فلابد من استيحاء ما يؤيد هذه المعاني من سياق الخطاب القرآني نفسه فيلحظ في قصة أيوب (عليه السلام) استعمل فيها (الضر)– بالضم– ذلك أنه يشكو ما به من مرض وسقم .

فالمعنى إذاً حاكم في اختيار إحدى البنيتين من مصدر الفعل (ضَرَّه يضُرُّه) من الباب الأول.

درس العلماء أبواب الفعل ومصادره واستنبطوا جزءا كبيرا من معانيه ورصفوا لها الأوزان الصرفية من أبنية اللغة فجعلوا مثلا وزن (فعلى) نحو هلكى وموتى ومرضى وغيرها مما اطرد في معنى البلاء والآفات والمكروه والتوجع فهو إمارة يجمع عليها((كل ذي زمانه وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلا أم فعيلا أم فعلان))[١٥] وهذا يعني تصرف العرب بكلامها واطراده في بابه من المعنى ولا عجب فالمعنى عندهم مخدوم واللفظ خادمه فيصلحون ألفاظهم ويتصرفون بها لتصلح المعاني وتتضح وتطرد.

ومما تنبه إليه علماء اللغة جمع فاعل على فُعلان،ذهب ابن سيده إلى أن السبب في هذا الجمع انه لغلبته غلبة الأسماء قال((..وأما صُحبان فلأنه قد غلب غلبة الأسماء فأجري في التكسير مجرى حاجر وحجران))[١٦] وتوحي إلي هذه الصيغة بأمرٍ غير هذا. إن (فُعلان)وزن صرفي جاءت عليه بنية المصدر من نحو حُسبان،طُغيان،ونحوها؛وهي تدل على الهيجان من نحو فَعَلان في الغليان والنَـزَوان ونحوهما. كما جاء هذا الوزن دالاً على الصيغة في الخلو والامتلاء من نحو عطشان،وسكران.

يلحظ أن ما جاء على هذا الوزن وذُكر فيه،كما سبّق،انه جاء لغلبة الاسمية عليه نحو:راع ورُعيان،شاب وشُبان وصاحب وصُحبان،فالق وفُلقان،إنما جاءت لاطراد احد المعنيين من الخلو والامتلاء والحركة والاضطراب فأرى (رُعيان)لما فيه من الحركة والاضطراب سواء أكان هذا الراعي ممن يرعى الأنعام أم هو من معنى السلطان فإنه على الحركة والهيجان ،وكذلك صُحبان وركبان جمع صاحب وراكب وهو ما يكون راكب الفرس أو راكب السفينة.

وأرى فلقان ما في فعله (فلق) فهو فالق من الحركة والتجدد فيكون فُلقان مشتمل على الحركة اشتمال (فرسان) جمع فارس عليها .وشبان ،أيضا، دال على امتلاء الإنسان بالحيوية والحركة فقد جمع هذا الوزن بهذه المفردة ،معنى الامتلاء من نحو شبعان ، والحركة والاضطراب نحو هيجان و قفزان .

أماما ذكره الرضي الاسترابادي في تعليل ذلك بأنه((إذا انتقل (فاعل) ــ يعني الوزن الصرفي لاسم الفاعل ــ من الصفة إلى الاسم كراكب الذي هو مختص براكب البعير ...وفارس المختص براكب الفرس وراع المختص برعي نوع خاص ليست، كما ترى، على طريق الفعل فإنه يجمع في الغالب على فُعلان كـ (حجران) في الاسم الصريح))[١٧] فتعليل جيد في استقرارا لصفة في الموصوف استقرار الذات المدلول عليها بالاسم فجمعت الصفة جمع الاسم الصريح .لكن هذا التعليل لا يشفي غليل الناظر المدقق على صحته .

ومن تصرف العرب ،أيضا،في كلامها جمعهم فعيل على فعالى حين شابه فعالى في اطراد معناه في بابها من الدلالة على الآفات والأوجاع والمكاره نحو (يتيم – يتامى) فإن قياس جمع فعيل على فعال نحو (كريم – كرام– وكرماء) على فعلاء وإنما جمع ،فيما أرى، إلحاقا له بباب فعالى[١٨] ورعاية لمعنى اليتم بأنه من البلاء والمكاره وإلحاقا له بباب الأوجاع ونحوها جاء في القرآن يتامى ولم يأت غيره.

٥ـ استقراء المعنى الصرفي في الخطاب القرآني(قراءة تفسيرية)

يجري وضع الحروف وتأليف الكلمات في السياق الفني ،من الشعر أو النثر،لحكمة يقصدها المنشئ وقد يكون غيرها أليق منها،واحكم في البيان،وذلك راجع إلى القرب من القصد،والدقة في الفهم. لكن شأن القرآن الكريم يجري في ذلك بدقة عالية،محكمة الصنع حتى لا يصح الحرف أو الكلمة بديلا عن غيره،فلكلٍّ معناه المقصود في موضعه المقصود.

إن الكلمة في مكانها من السياق القرآني إمارة على معنى يجب استنباطه وهي في الوقت نفسه تعد من ظواهر الكتاب الدالة على ذلك المعنى بحروفها التي تتكون منها ،وصفاتها الصوتية وجرسها عند النطق ،وصيغتها الصرفية ،وطبيعة بنائها الفني من الجهة النحوية.

ومن هنا،يستقر في عقيدتي،إن اختيار اللفظ في الاستعمال القرآني ومكانته من التركيب النحوي للسياق اختيار محكم.وهو من الأدلة المشيرة إلى المعنى القرآني،ولذلك لا يجوز تسليط التقدير عليه أو التأويل والتوجيه وخصائصه فمثلا إذا كان النحو طريقنا في الوصول إلى معنى الجملة القرآنية كان ذلك المعنى نحويا في الوصول إلى ظلال الآية .

وإذا كان اختيار البنية الصرفية للألفاظ التي يتكون من مجموعها ،وتألفها الجملة القرآنية اختيارا مائزا بين المعاني وهو نفسه طريقنا في الوصول إلى جوّ الآية وأبعادها النفسية والدلالية فان المعنى المتحصل من طريقها هو المعنى الصرفي الذي يؤدي بنا إلى تفسير الآية الكريمة . وهكذا في المسالة الصوتية ، والبلاغية.مما يأتي بحثه مستقبلاً إن شاء الله.

زيادة على ذلك قد يكون المعنى البلاغي أو النحوي أو الصرفي أو الصوتي محققا للمعنى التفسيري للقرآن الكريم فليس كل التفسير هو من معاني القرآنِ فكلام السلوكيين والمتكلمين وتأويل المتصوفة ليس من معاني القرآن بل وليس هو بتفسير [١٩] . وإذ يختص هذا البحث بالمعنى الصرفي فإننا نقتصر بالحديث على الصيغ الصرفية.

للصيغ الصرفية معنى تنفرد به،وتمتاز من خلاله من غيرها.هذا المعنى هو ما نصطلح عليه(المعنى الصرفي)إذ أنه يحتم استعمال البنية المعينة دون غيرها،لضرورة اقتضاء المعنى الكلي المقصود من سياق التعبير القرآني.

فكما أن حركة الإعراب التي تلحق آخر الكلمة ليست حلية لفظية للكلام،وإنما هي دليل على مكان الكلمة من الجملة وعلى عملها وعلى معنى التركيب كله فإن اختيار الصيغة اللفظية(بنية الكلمة الصرفية)ليس تنويعا في الصيغ الصرفية للكلام وإنما هي دليل على الحال المعبر عنها، ومفتتح إلى معنى النص كله،وطريق إلى الاتساع والدقة في تفسيره وصولا إلى المعنى القرآني المقصود،من ذلك قال تعالى [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ](البقرة ٢٢٢)فالملاحظ استعمال فعّال بدل فاعل ولابد أن ذلك لحكمة اقتضاها المعنى الكلي،ويكون المعنى الصرفي لـ(فعّال)طريقا إليه ودليلا عليه((فإن التواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة بعد مرة وهو(فعّال)،وذلك ابلغ من التائب الذي هو فاعل،فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب،أي صدرت منه التوبة مرة واحدة فإذا قيل:تواب.كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة))[٢٠] وهذا يعني أن استعمال هذه البنية الصرفية يشير إلى أنه تعالى يحب من يتوب بعد كل خطأ ذلك بأن هذه البنية تدل على التكرار فتكرار التوبة لازمه تكرار الذنوب ويحب الله من يتوب بعد كل واحد منها.فان به بيان لمحبة الله للذين يتوبون بعد كل ذنب فاستعمال صيغت (فاعل) لم يكن ممكناً أن يؤدي هذا المعنى من تكرار لا بتأويل فإنها تدل على المرة باستغراق دال على التوبة الخاصة .

وان استعمال (فعال) تدل على تكرار و الاستغراق إن هذا المعنى لم يلتفت إليه المفسرون غير ما ذكروه انه تعالى يحب الذين يتوبون من الذنوب[٢١] ولذا عندما أريد معنى التوبة دفعة واحدةً من ذنب أو ذنوب من غير تكرار تلك الذنوب التي يلزم تكرار التوبة منها ذكر القرآن بنية (فاعل) وفي قوله

[التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ](التوبة ١١٢ينظر التحريم ٥) أريد بهذه الصيغ الصرفية القيمة المعنوية للاستغراق من غير نظر إلى تكرار ذلك منهم مع أن بعضها يتكرر ولكن فاعله مستغرق على الدوام فيه كلفظ عابدون وحامدون وراكعون وساجدون،مع أن سائحون بمعنى(مهاجرون)لم يتحقق في الإسلام غير هجرة واحدة وهجرتان بناءا على تفسير لفظ(سائحون)بالهجرة قال الطبري(٣١٠ هـ)((ليس في القرآن،ولا في أمة محمد ساحة إلا الهجرة وهي التي قوله تعالى [السائحون]))[٢٢] ولعل الدليل على إرادة الاستغراق بثبات الصفة من التوبة تقدير وقع التائبون على القطع للمدح والتقدير هم التائبون[٢٣] فهو جملة اسمية والاسمية دالة على الثبات.ولا يلحظ فيه إرادة التكرار.والله اعلم.فقد فُسِّر لفظ(تائبون)بأنه توبة واحدة من ظلم الشرك ولواحقه.[٢٤]

ومن الجدير بالذكر أن التوبة وردت في القرآن الكريم بصيغة (فاعل)فقط مرتين.في حين جاءت بصيغة (فَعّال)اثنتا عشرة مرة،ومن الملاحظ أنها جاءت صفة لله(أنه تواب رحيم)مما يؤكد المعنى الصرفي في الاستعمال القرآني واختياره الوزن الصرفي المناسب للمعنى القرآني المقصود منه تعالى.ومن ذلك أيضا ما سبق الإشارة إليه من استعمال(عجب وعجاب وعجيب)فقد تباين استعمال هذه الصيغ الثلاثة في الدلالة على المعنى المقصود فلابد من تباين ذلك المعنى في جزء من خصائصه فما دلت عليه إحداهما دلت عليه الأخرى مع زيادة في الدلالة أو نقصان.قال تعالى [اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا](الجن ١) ولم يقل عجيبا في حين جاءت صيغة عجيب في قوله تعالى [ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ](ق ٢) قال تعالى [وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ](ص ٤-٥)وهذا التنوع في الاستعمال القرآني للصيغ الصرفية يتبعه تنوع في المعنى الذي تؤديه كل صيغة وبحسب سياقها الفني الذي وردت فيه فالمشهور بين اللغويين أن استعمال(العَجَب)بصيغة المصدر من (عجبت عجبا)بالفتح،يكون ((عند إنكار ما يرد عليك بقلة اعتياده كالعجب وهو النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتادٍ))[٢٥] ومن هنا فإن سبب مجيء المصدر (عجب) في سورة الجن وعدم مجيء(عجيب)لأن القرآن غير معتادٍ ولا مألوف صنعه فليس كمثله شيء من كلام العرب،وإن الأشياء العجب قليلة والأشياء العجيبة كثيرة ولذلك جاء العجب مع القرآن.

إن اختلاف الصيغ الصرفية في الاستعمال القرآني تبع لاختلاف الدلالة التي تؤديها هذه الصيغ.فثمة معنى ينضم إلى ما ذكر من الدلالة على قلة الشيء وندرته وذلك هو الإنكار المتحصل من جهتين الأولى:لغوية وقد سبق ذكرها.والأخرى استعماليه وهي ذات منشأ استقرائي .

فان إنكارهم القرآن اخف من إنكارهم توحيد الآلهة في إله واحد، وإنكار الولادة من عجوز يائس ذات بعل كهل هو إنكار متوسط بينهما زيادة على ذلك أن المصدر (عجب) ورد في خمسة مواضع من القرآن وفيما يأتي تفصيلها :-

١- جاءت إنكارا لآيات الله من القرآن والنبوة والبعث قال تعالى:[وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] (الرعد٥)ولعل من جميل ما يذكر هنا تفسيرهم معنى العجب في صدر الآية بأن الأول هو عجب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)من الشرك بالله إنه يعجب من إنكارهم البعث [٢٦] وفيه نظر ذلك بأن العجب في صدر الآية هو إظهار عظمة القدرة على الخلق وعظمة النعم المخلوقة التي عددها الله تعالى قبل هذه الآية فقال الله إن تعظم هذه النعم يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)فأنكر قولهم في التكذيب بالبعث وهو العجب الثاني وهذا من مجاورة المعنيين المتضادين مع اتحاد لفظيهما وتجانسهما.أو هو من مقابلة معنيين ضدين على غرار قوله تعالى:[فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (التوبة ٨٢)وقد أخرج العجب الثاني بمعنى الإنكار كما أخرج الاستفهام للإنكار من

قوله تعالى:[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (الأحقاف ٣٣) ولعل هذا ما يصلح تفسيرا للعجب في الآية محل البحث.أما ما ذهب إليه عدد من المفسرين كصاحب روح المعاني من تقدير صفة (غريب)أي (عجب غريب)(٢٧) فتقدير غير محوج إليه، والعبارة القرآنية قائمة بنفسها والمعنى مكتمل.

٢- يلاحظ أن الآيات التي جاء فيها العجب للإنكار قد اشتملت على الاستفهام الإنكاري وقد سبق بيانه من سورة الرعد والأحقاف المتقدمتين ومنه قوله تعالى:[أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] (يونس٢)وقال تعالى:[أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا] (الكهف ٩)فالاستفهام الإنكاري دلالة على توجه بنية المصدر (عجب) إلى الإنكار،والمعنى إن آياتنا كلها عظيمة فمن عجب من هذه ينكرها فهو منكر لغيرها،ومن هنا قدر المفسرون مضافا هو (من آياتنا آية ذات عجب)وهذا التقدير من وحي الحرف(من) الذي يفيد التبعيض (٢٨) وهو تقدير غير محتاج إليه فإن العبارة مسبوكة مكتملة المعنى مستغنية بنفسها عمن يكملها بمقدر. ومن هنا فإن الأشياء التي يُتعجب منها بصيغة المصدر من قوله (عجبا) ليس من جهة قلتها بل من جهة عظمتها وصدورها عنه وهي على الحقيقة القرآنية ليست بعجب لأن الفعل العظيم يصدر عن الفاعل العظيم وأرى أن العجب بهذا المصدر يكون مما هو قليل بالقياس لأفعال البشر، ومما هو عظيم من آيات الله ونعمه من خوارق العادة الطبيعية وكل آياته ونعمه عظيمة.

٣- يرى الباحث هنا أن العجب في القرآن يقع بهذا المصدر من الشيء القليل والشيء العظيم مما يستحق الإنكار العظيم من جهة الكافرين.زيادة على ذلك أن العجب من قوله تعالى:[قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا](الكهف ٦٣) فسر بأنه عجب موسى(ع) ((يعجب من أثر الحوت في البحر،ودوراته التي غاب فيها فوجد عندها خَضِرا...قال : عجبت والله .. أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ،ثم صار حيا حتى حشر في البحر.))(٢٩) وقد قدر المفسرون((سبيلا عجبا))(٣٠) وهو ما لاحاجة إليه فإن العبارة تامة والمعنى مكتمل .وهو عجب من أمرين اعتياديين يعترضان الحياة كثيرا هما سريان الحوت وآية النسيان وإنما تعجب موسى من عظمة ذلك لا من قلة وجوده من جهة صدوره عنه تعالى .إنما عجب من تسخير الحوت ومجيئه إلى الخضر ليتعلم منه وهو نبيّ والخضر ولي

جرت العبارة القرآنية في محل البحث على عقد العجب بحسب الأشياء فيكون العجب بالمصدر(عجب) مما هو من خوارق الأشياء من التسخير كعجب موسى (ع) وما هو من الأمور الغيبية التي لايعقلها الإنسان كآية أصحاب الرقيم فكل هذه مما لا يتعلق من أي وجه بأفعال الإنسان فهي أمور غيبية معدومة الوجود الذهني لدى الإنسان قبل صدورها عنه تعالى.

ولكن عندما يتعلق الأمر بالوجود الذهني المادي لأفعال الإنسان يُتعجب بصيغة (فعيل) من الأمر العظيم من آيات الله مما هو خرق للعادة الإنسانية فليس إحياء الموتى من فعال الإنسان ولا تسخير الحوت ولا الوحي ولا نظام البناء اللغوي للسياق القرآني ومن هنا تُعجب منها بالمصدر مما سبق وفيما يأتي بيان استعمال(فعيل):-

١-قال تعالى في قصة زوج إبراهيم(ع) :[قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ] (هود٧٢) الآية في تعجب زوج إبراهيم(ع) وإنكارها حصول هذا الأمر الخارق لسنة حياتهم بعاداتها المألوفة فصحح لها الملائكة هذا الاعتقاد بأنه ليس من عاداتكم بل هو من أمر الله

الذي يقول للشيء كن فيكون فبعد أن نسبت الأمر للعادة البشرية من قولها (عجوز بعلي شيخا) أرجعوه إلى الله من قوله تعالى:[قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ] (هود٧٣) .

ذهب الشريف المرتضى إلى أنه أراد الفعل من قوله (أتعجبين)[٣١] والعجب تحسس نفسي أريد بذكره هنا ظهور العجب منها وإنكار حصول الولد مع مثل الحال التي هي وبعلها عليه فحصوله خرق للعادة، ومعنى (تعجبين) نهي عن التعجب فإنه مخرجٌ لها من رحمة الله وبركاته بلحاظ كون حمله ووضعه كرها بصريح القرآن نفسه.

وعلى هذا جرت سنة العرب في كلامهم التعجب مما يخرق العادة البشرية بـ (فعيل) قال الشريف المرتضى (من الطويل) :-

عجبتِ لشيبٍ في عذاريَ طالعاً عليكِ وما شيب الفتى بعجيبِ[٣٢]

وأوضح من ذلك في استعمال فعيل في التعجب من خوارق العادة البشرية قوله تعالى:[بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ] (ق٢)فإن الإنكار هنا من صدور ذلك من الإنسان لأنهم مكذبون بأن يكون ذلك عن الله وفي نص الآية الفاعلية مسندة إلى رجل منهم ينذرهم،وإذ كانت الفاعلية في نص الآية الأخرى منسوبة له تبارك وتعالى جاء الإنكار بالمصدر قال تعالى:[أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ] (يونس ٢) فالملاحظ أن الآيات التي جاءت فيها بنية المصدر دالة على العجب والإنكار هي ما كان الفاعل فيها هو الله تعالى والفعل المنسوب إليه هو مما لا وجود له في ذهن الإنسان وهو من خوارق العادة الكونية الكبرى التي عهدها البشر.

وما جاء منها بصيغة فعيل (عجيب)فالفعل فيها مسند للإنسان ولذلك فُسر فعيل في قوله تعالى:[هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ] المتقدم أنه تفسير لتعجبهم الذي في صدر الآية وبيان كونه مقارنا لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل محل التعجب[٣٣] .

وعندما يراد إظهار عظمة الإنكار والعجب بما يزيد على المصدر المجرد ؛ جاء فيها (عجاب) دال على عظمة وكثرة الإنكار فان الألف المزيدة فيما بين العين واللام دلت على زيادة المعنى .قال تعالى:[ ) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ](ص ٤ –٥) فقد جمعت (فعال) عجبين هما عجبٌ من مجيء المنذر منهم مما سبق ذكره في بيان الآية الثانية من سورتي(ق ويونس)وعجبٌ من جمعه الآلهة في إله واحد فقد ((عجب المشركون أن دُعُوا إلى الله وحده ،وقالوا يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة))[٣٤]. فجاء بهذه البنية دلالة على كثرة الإنكار فإنهما إنكاران زيادة على دلالته على عظمة الأمر المتعجب منه ففعال أبلغ في العجب بحسب موضوع الآية التي يرد فيها لأنه من أبنية المبالغة وهو ما عليه التفسير ،وقد وصف الزمخشري(٥٣٨ هـ)التعبير بصيغة فعال من البلاغة بمنزلة كبير وكبّار ذلك بأن((جمع الآلهة في واحد كجمع الجماعة في واحد وهو في الفعل محال وإنما نزل الجعل هنا بمنزلة القول والزعم))[٣٥] كما جعل الملائكة إناثا قال تعالى:[وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ] (الزخرف ١٩) وإنما هم زعموا ذلك ولم يجعلوه بمعنى الخلق والتصيير.

ومن هنا يظهر أثر المعنى الصرفي في اختيار بنية الكلمة للدلالة على المعنى القرآني المتحصل من السياق جميعا والذي تساهمه البنية الصرفية في أداء المعنى وتكسب سياقها الذي ترد فيه صبغة فنية زيادة على صبغته الفنية في بنائه النحوي والبلاغي.

وإذا كانت زيادة المبنى تتبعها زيادة المعنى فإنّ زيادة الألف في صيغة عجاب تلحقها زيادة في زمن نطق المفردة ومدّها بحسب أحكام تلاوة القرآن وهنا مفصل صوتي يُلحظ في زيادة حروف الكلمة في الدلالة على المعاني .

مما يدل على زيادة المعنى التعجبيّ في إنكار مضمون الآية وزيادة في بيان الحكمة القرآنية التي لم تكن ليؤديها غير هذه البنية (فعال) فيتضح أن استعمال القرآن الكريم للأبنية الصرفية إنما هو بحسب المعنى المقصود ويكون المعنى الصرفي دليلا عليه ومشيرا إليه بدقةٍ وضبطٍ عاليين.

ولا ريب أن هذا تابع لإرادة المعنى الصرفي الخاص بكل بنية من الأوزان الصرفية وأن المعنى هو الذي يستدعي استعمال هذه البنية دون غيرها .

فلابدّ،إذاً،لدراسة المعنى الصرفي في الاستعمال القرآني من الجري نحو التطبيق بتوظيف الصيغ الصرفية بما تحمل من المعاني ،وتبوح به من الإشارات التي تكتشف النص وتقف على خفاياه تصدح بأسراره بحسب نظامه الفني في بناء الفاظ آياته وترابطها السياقي.

إن ذلك ليكون حين نعدّ المعاني الصرفية من المعنى الأولي يأخذ به الاستعمال القرآني،ويوظف أبنيته اللفظية لخدمة معنى ما يريده القرآن يقارب المعنى الصرفي أو يبتعد عنه فإنه يوظفه إشارة تنبئ به والتماس ذلك من نصوص القرآن نفسه يعني توظيف القرآن للكشف عن معانيه بمقابلة آية بأخرى.

إن هذا النوع من القراءة المعرفية لا تتصل للسياق مما يجري على لسان بعض المعاصرين ممن لا خبرة له بوحدة القرآن الكاشفة عن معانيه فإنه كتاب أحكمت آياته وترابطت معانيه.

وإن هذا النمط من المسير الذي نسلكه للوقوف على معاني القرآن الكريم من خلال تلمس المعنى الصرفي للصيغ هو الذي نعده قراءة تفسيرية مستدلين بالقرآن نفسه نسأله عن دلالاته ومقاصده لأن((الذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه))[٣٦]من خلال عرض الآية على الآية واستيحاء الأدلة الكاشفة عن معانيها،من خلال بيان المعنى الصرفي لأبنيته في خصوص هذا البحث.وهي الصورة الآتية:

أولا:استعملَ القرآن البنية الصرفية(فعّال)بمادتها اللغوية من معنى(فَعَلَ)في آيتين من جميع القرآن وذلك قال تعالى:[إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] (هود ١٠٧ ،وينظر البروج ١٦) ولم ترد هذه الصيغة بحق المخلوق قط.وجاءت بنية (فاعل)الصرفية من دلالة(فَعَلَ)اللغوية نفسها تسع مرات،ثلاث منها في حقه تعالى،وست في حق المخلوق.فما سر هذا الاستعمال؟

إن صيغة(فعّال)تدل على الكثرة والتكرار،وصيغة فاعل تدل على المرة باستغراق بنحو من التلبس بالفعل وقد سبق بيانها عند الحديث عن (توّاب وتوّابين).فهل يراد من هذا الاستعمال حقيقة الكثرة والتكرار والمرة والاستغراق أم يراد أمر آخر؟

ثانيا:إن مراجعة نصوص الآيات التي جاءت بصيغة فعّال وفاعل لا تدل على إرادة الكثرة والمرة وحسب.

إن الدلالة على التكرار والكثرة في البنية الصرفية تنطوي على معنى العزم على تكرار الفعل؛وإن الدلالة على المرة والتلبس باستغراق هي الأخرى تنطوي على العزم في بنية فاعل الصرفية.

ومن هنا فان الآيتين جاءت فيها صيغة(فعّال)يراد بها إن عزمه قادر وحاضر على فعل أيّ شيء وكل شيء يريده من الخير.سواء أكان ذلك نعمة ابتدائية،أو استحقاقية ومن جهة أنه الحي القيوم الدائم فعزمه دائم ومعنى الدوام قد أدته البنية الصرفية(فعّال)لما فيها من دلالة على الكثرة بما يوحي بدوام الفعل من الموصوف بها.فعزمه دائم والعزم إرادته الحاضرة زيادة على أن صيغة فعّال في قوله تعالى:[إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] (هود ١٠٧) خرج مخرج الخبر والمعنى استثناء تستثنيه العرب

وتفعله كما تقول والله لأضربن زيدا إلا أن أرى غير ذلك ؛وأنت عازم على ضربه.والمعنى في ((الاستثناء في الآية على هذا إني لو شئت ألاّ اضربه لفعلت،والله فعّالٌ لما يريد أن يعفو أو يعذب))[٣٧] وسياق الآية يشهد بالاستثناء قال تعالى:[الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] (هود ١٠٦ ـ١٠٧)

ومن هنا لم تأت هذه البنية الصرفية وصفا للمخلوق لوجود،ما يعترض،بحسب العادة،عزمه تحقيقا وإبطالا ولعل الحديث المشهور عن أمير المؤمنين علي (ع) قوله ((عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود)) (نهج البلاغة ٤: ٥٤) من أدلة تأييد ما ازعم في هذا الشأن.

والعزم،هو إرادة فعل الشيء ومن هنا فعزمه تعالى إرادته ومشيئته،وليس كعزم المخلوق ينطوي على التدبر والتشاور والتفكر إنما أمره ومشيئته إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

ولكن الآيات التي جاءت بصيغة(فاعل)الصرفية يلحظ من نصوصها إرادة المرة بنحو الاستغراق؛ولكن لم يُرَد هذا المعنى فيها وحسب بقدر ما أريد معنى العزم منها وذلك ظاهر من نصوصها وصريح كلمات المفسرين وبحسب الترتيب الآتي:

١ــ بنية(فَعّال)في قوله تعالى((فَعّال لما يريد))نقل الطبري(٣١٠ هـ) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن هذه الآية تأتي على القرآن كله؛ وقال في تفسير الآية محل البحث ما يريده الله هو جزاؤه[٣٨] فإن شاء الله تجاوز عن عذابه،وإن شاء عذبه وهذا يدل على ما في صيغة (فعّال)من الاستمرار بعزم على العفو والعذاب،فإن عذَّب فبعدله،وإن عفا فبرحمته وإحسانه. وقال الزمخشري ((وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة))[٣٩] وتفسير قوله تعالى(فعّال)بمعنى الكثرة يراه ناصر الدين المالكي(٦٨٣ هـ)هو ردّ فعله تعالى إلى الخصوص ولكن((قوله(لما يريد)يدل على عموم فعله في جميع مراده))[٤٠] ولا ريب أن العموم المستفاد من هذه الآية بقرينة (لما يريد)دال على إرادة العزم في العموم،لا خصوص الفعل الذي يريد فعله بكثرة وتكرار ثم لا يتصور التكرار بكثرة في فعله لان فعله جنس عام لأنواع الكثرة.وهذا لا يصدق على غفار،وتواب من قوله تعالى:[ ) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] (نوح ١٠) لأن المقصود،والله أعلم،تكرار المغفرة منه على نحو الدوام والكثرة كلما استوجبت رحمته ذلك.

وهذا من حقه تعالى وحده،فلا يصح أن يقال زيد فعال،لأن قولنا(زيد قتال)لا يعني دوام عزمه على القتل فإنه يقتل كلما عرض له أمر استلزم القتل؛ومن ذلك الكلمة المشهورة التي أطلقها جيش (عمر بن سعد) في حق الإمام(الحسين بن علي عليهما السلام)إذ قال قائلهم((إنه ابن قتّال العرب))وكان الإمام علي (عليه السلام) قد قتل رؤوس الكفر والشرك من العرب آنذاك.فلما تكرر ذلك منه في كل حرب مع المشركين سمّي بــ(قتّال العرب) ولم يكن عزمه حاضر على القتل في كل زمان عمره الشريف.وإنما يحضر عند كل مرة تعرض فيه الحرب والتقاتل فعزمه منقطع على نحو التكرار بتكرار الفعل وسببه.

والإنسان قد يعزم في بعض زمن حياته ولا يقدر على الفعل قال صخر(من الطويل)

أهم بأمر الحزم لا أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا لا يكون في حقه سبحانه وتعالى .

٢ــ صيغة (فاعل) ومادتها اللغوية جاءت في القرآن الكريم بنحوين هما:

أولا:جاءت وصفا للخالق تبارك وتعالى ثلاث مرات في سورة الأنبياء فقط قال تعالى:[...وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء ١٠٤) قال تعالى:[وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء ٧٩) قال تعالى:[لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء ١٧) فسرت هذه الآيات بما يؤيد إرادة العزم على الفعل واستقرار القضاء به سابقا لأن بعضها دال على أنه لما يَفعَل

ولن يفعل لتعلق الفعل بالإرادة فلما امتنعت الإرادة امتنع الفعل وهو ظاهر في قوله (لو أردنا) مما يأتي بيانه وبعضها الآخر دال على القدرة المصاحبة دوما للعزم واستمراره .

(أـ) قال تعالى:[ ) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء ١٧) فان الآية مخرجة على نحو نفي اتخاذا اللهو وتركه لأن الحكمة من خلق السموات والأرض وما بينهما صارفه عن ذلك،وأنه تعالى منزه عن فعله(٤١) ((وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير))(٤٢)

وهذا يعني أن(فاعل)هنا جاءت للدلالة على العزم ولأن المعنى النفي،فالدلالة نفي عزمه على اتخاذ اللعب واللهو في خلق السموات والأرض.قال العكبري(٦١٦ هـ) (((إن كنا)بمعنى ما كنا،وقيل هي شرط))(٤٣)وتفيد الجملة على التقديرين نفي العزم على هذا الفعل وهو اتخاذ اللهو واللعب منه تعالى لتنزهه عن ذلك ونحوه.

ومن هنا لا يلحظ في صيغة فاعل الصرفية المرادة في الآية معنى المرة أو الاستغراق بنحو التلبس من الفعل فإن صدق على التي في الآية معنى العزم باستغراق وتلبس الذات الإلهية به فلا يصدق معنى المرة فيه،بل لا يتصور؛ لأن عزمه أزلي يمتد من ابعد نقطة في الوجود من الزمن الماضي إلى ما لا نهاية من دوامه تعالى بالفعل وعدمه والله أعلم.

وهذا كلام لا يصدق على صيغة فاعل من نحو قوله تعالى:[غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ...] (غافر ٣) فإن الصيغة هنا مقيدة بمادتها اللغوية وتفيد هنا الدوام باستغراق الفعل حتى صار صفة تدل عليه تعالى.

أما في الآيات محل الشاهد فقد جاءت مطلقة بلا قيد التكرار لتدل على العزم على الفعل كله مما يصح أن يكون من فعله أو عدمه مما لا يصح في حقه لتنزهه تبارك وتعالى.والله أعلم.وهذا خاص بصيغة (فاعل) بأصلها اللغوي الوضعي(ف ع ل) .

(ب)ـقال تعالى:[وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء ٧٩) فإن البنية الصرفية ــ هنا ــ دالة في عقيدتي على العزم بالتسخير المؤكّد وذلك واضح من سياق الآية في قوله تعالى:[إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ] السابق فالحرف المشبه أداة في توكيد الخبر مما يترشح أن يكون توكيدا للعزم، و (كنّا) هنا ليست كان بدلالتها على الزمن الماضي المقيد (المعين) بل هي بدلالتها على الزمن المطلق (عموم المضيّ)لأن عزمه على التسخير في الآية سابق سبقه القضاء بنبوة داود وغيره من الأنبياء (ع) فعزمه مستمر وزمنه مستمر كذلك.

فالزمن النحوي في دلالة الفعل (كنّا) أوسع من الاستعمال العادي في نحو قولنا : (كان زيد ناجحا) وهذا ما يشير إليه الباحث بأن للألفاظ في سياقها دلالات من خلال موضوع السياق نفسه فكثيرا ما نجد المفردة القرآنية تبوح بمعنى يضاف إلى معناها المعجمي أو العلمي في عرف أهل اللغة وعلمائها.

فالتأمل في السياق القرآني وموضوعاته يقفنا على ألوان من الدلالات تصور لنا الأحداث والمعاني والحكمة بحسب دقة المتأمل وفنه وملكته التي تهبه القدرة على إدراك ما لايدركه غيره فيتفاوت العلماء فيما بينهم .

ومن هنا يمكن أن يقال في موضوع الآية محل البحث أنه لو أريد بقوله (إنّا كنا فاعلين) توكيد فعل التسخير لقال ،والله أعلم،(إنا كنا مسخرين) ولا يمنعه شيء من إلباس هذه البنية الصرفية مادة التسخير اللغوية ولم يتركه بهذا العموم . لكنّ حكمة المعنى المقصود وموضوعه هما اللذان اقتضيا ذلك.

وهذا الذي أذهب إليه من معنى (فاعلين) الصرفي يؤيده التفسير أنه((كنّا قد قضينا إنا فاعلو ذلك))(٤٤) أو تفسيرها بـ(قادرين) والقدرة في حقه تعالى أمرٌ باطنيّ (معنويّ) هي عبارة عن قوله للشيء كن فيكون.

والمعنى ((قادرين على فعل هذه الأشياء وغيرها ففعلناها دلالة على نبوته وعلمناه صنعة لبوس))(٤٥) فالقدرة هي((المعنى الذي به يوجد الشيء بتقدير الإرادة والعلم واقعا على وفقهما والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وليس من شرطه أن يشاء))(٤٦)

والقادر المطلق عزمه مطلق وعزمه قد يشمل إرادته الفعل أو عدمه من اتخاذ اللهو واللعب، وتسخير الجبال ونحو ذلك.

(ج) ومن هنا يكون قوله تعالى:[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ](الأنبياء ١٠٤) في غاية الوضوح في إرادة معنى العزم بما هو القدرة والقضاء والإرادة فتفسيره ((إنا كنا فاعلين ما وعدناكم من ذلك أيها الناس ؛ لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله على يقين بأنّ ذلك كائن ،فاستعدوا وتأهبوا)) (٤٧)وإلا فهولمّا يفعل لتعلق ذلك بالمشيئة لا بالقدرة.

والمعنى أنه تعالى عازم على الوفاء بما وعد،وزيادة على ظهور العزم على البنية الصرفية من قوله(إنا كنا فاعلين)أنه لا يصح في حقه عدم الوفاء بما وعد.وهذا المعنى الصرفي للبنية ومعطياته التفسيرية للآية المباركة يجنبنا تأويل(كنا فاعلين)إلى معنى (سنفعل)لأن(كان)للزمن الماضي وهو بعد لم يفعل؛ولكن الموعود به في حكم المفعول لأنه مراد ومعزوم عليه منه تبارك وتعالى.أما تفسير(إنا كنا فاعلين)بالقدرة ((إنا كنا قادرين))مر بيانه في الفقرة السابقة.

وربما يورد على هذا الزعم الذي أرى من ظهور العزم في البنية الصّرفية في هذه الآيات بما حاصلة:لو كان العزم مرادا بهذا الظهور لم يرد في تفسير الآية وألفاظها(إنا كنا عازمين).

وأيسر جوابه أن القول(بعازمين)يعنى أن العزم مرتبة تختلف عن الفعل فهما مرتبتان،فليس المريد في مرحلة الإرادة بفاعل ولكن الفاعل هو في مقام الفعل الناشئ عن الإرادة.

وهذا لا ينطبق عليه سبحانه وتعالى؛لأن عزمه إرادته،ومشيئته وإرادته أن يقول(كن فيكون)فليس ثمة فصل رتبي بين إرادته وفعله.

ولكن تعبيره بـ (إنا كنا فاعلين) فيه إشارة قوية إلى عدم الفصل بين الإرادة والفعل بل إلى تقاربهما ووحدتهما ولذلك قال فاعلين وهو يريد المعنى الصرفي لبنية(فاعل)والمادة اللغوية (فعل يفعل فهو فاعل)ومنشأ هذه القراءة الصرفية في تفسير الآيات المذكورة هو إيراد(فاعل)الدال على المرة،باستغراق وتلبس حتى صار صفة له.فقاتل تشمل من قتل مرة باستغراق فصار الفعل له صفة،وقد تشمل كثرة القتل فتقول(قاتل)وأنت تريد الصفة الملازمة له دون تكرار الفعل نفسه وتقول (هذا قاتل أخي) وقد قتل مرة فصار قاتلا،على حد الصفة الدالة عليه.

وتقول: (هذا قاتلٌ أخي)،وهو لما يقتل لأنك تريد المستقبل ولكن لعلمك بعزمه اليقيني أو الظني أو التأكيدي على القتل وصفته يقاتل لشدة عزمه واستقراره في ظنك على القتل فصار بمثابة قتله فعلا وصار فاعلٌ صفة يعرف بها.

ثانيا ــ وردت البنية الصرفية (فاعل) ومادة (فَعَلَ يَفْعَلُ) اللغوية وصفا للمخلوق في آيات عدة تدل كلها على العزم ببنيتها الصرفية وبيان ذلك في السور الآتية.

أــ قال تعالى:[وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا] (الكهف ٢٣) إن المعنى العزم على الفعل من ظاهر الآية بدلالة معنى(فاعل)الصرفي فإن الفعل لا زال في قيد القول لما يفعل وحاصل القول حينئذ إخبار

بعزمه على الفعل وإرادته له وهو ما عليه التفسير ((ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك غدا أي فيما يستقبل من الزمان،ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء الله))(٤٨) .

ومن هنا جاء الاستثناء في الآية بمعنى إني فاعل غدا إن شاء الله توفيقي للفعل وإبقاء عزمي عليه.وتفسيره لا تقول ذلك ((إلا أن تقول معه:إن شاء الله،فتترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه،إذ كان في الكلام دلالة عليه))(٤٩)

وعلى هذا فالاستثناء مفرغ ومعنى الآية لا تقولن ذلك إلا قولا مصحوبا بـ (إن شاء الله)وذلك صريح قوله تعالى:[وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] (الإنسان ٣٠،ظ: التكوير ٢٩) وفي الآية محل الشاهد خلاف نحوي في تعلق الاستثناء بالنهي لا تقولن أو بالفعل ليس هذا مقامه(٥٠)

ب ــ قال تعالى:[قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] (يوسف ١٠) والمعنى،عندي ،عزم بحسب قراءة البنية الصرفية ومعناها من سياق الآية ولصريح قوله تعالى:[فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ](يوسف ١٥)وقوله (اجمعوا) بمعنى(عزموا)(٥١) إذ يقال ((أجمعت على الأمر إجماعا إذا عزمت عليه ...)) (٥٢) ومنه قوله تعالى:[فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا] (طه ٦٤) قال الزمخشري (٥٣٨هـ) في تفسير (إن كنتم فاعلين) ((إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم)) (٥٣) فالمعنى الإصرار والعزم، وعلى هذا النحو يمكن من ظاهر البنية الصرفية تفسير قوله تعالى:[قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ] (يوسف ٦١) فالمعنى في قوله لفاعلون إنا لعازمون على فعل ما فعلنا لك إنا نفعله وهو قولهم (سنراود عنه أباه) ومجيء(إنّ) في عجز الآية توكيد لعزمهم على الوفاء بالموعود.قال الطبري في تفسيرها لنجتهدن وإنا لفاعلون(٥٤) ومنه قوله تعالى:[قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] (الأنبياء ٦٨) المعنى إن عزمتم ففي الكشاف أنهم ((اجمعوا رأيهم ــ لما غلبوا ــ باهلاكه))(٥٥) أي عزموا ومنه قوله تعالى:[قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ](الحجر ٧١) المعنى إن كنتم عازمين على قضاء شهوتكم فاقضوها بما احل الله،فالمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهنّ لا غيره.وقريب من معنى العزم ذهب المفسرون(٥٦) .

ج – قال تعالى:[وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ](المؤمنون ٤)فقد جرى فيها التقدير والتأويل مما يأتي بحثه في محله إن شاء الله تعالى .

د – جرى شأن القرآن ،في عقيدتي،ونتيجة للاستقراء استعمال المصدر واسم الفاعل بهيئة مطلقة غير ملبسة بمادة لغوية تقيده للدلالة من خلال هذه البنية الصرفية على إرادة العزم وعندما يراد بيان الفعل بنحو السلوك الواقعي يعبر بالفعل وأنواعه مطلقا أو مقيّدا وتوضيح ذلك بالصورة الآتية :

١– قال تعالى في قصة إبراهيم:[ ) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] (الأنبياء ٧٢ –٧٣)فمعنى الآية ،والله أعلم، أنه جعلهم أنبياء ولذلك ما يدل عليه في قوله(بأمرنا) فإنّ كلّ نبيّ إمام وعكسه غير صحيح مع أنّ هذا لا يصلح أصلا لسلب الإمام أن يكون بأمر من الله بل هو كذلك والفرق بينهما من جهة العموم والخصوص ومن هنا قال(بأمرنا) تخصيصا للنبوة وهو حال واقع إبراهيم وإسحاق ويعقوب (ع) بصريح القرآن نفسه قال تعالى:[فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا] (مريم٤٩) فالجعل في الآيتين على العزم عليه لعدم انقطاع عزمه تعالى.

واستعمال بنية المصدر (فِعل) من (فعل يفعل فعلا) دالة على العزم الذي أقول به وعقدة بيان ذلك تكمن في قوله (أوحينا) فإنّ الإيحاء لغة واصطلاحا هو الإلهام والإلقاء في النفس ما يكون نواة عزمها على الفعل بحسب موضوع الوحي وهو ما عليه التفسير [٥٧].

إنّ التفسير بالعزم يعطي معنى جزيلا ويمدُّ ظلال الآية بواقع الحياة إذ جُمع في قوله (فعل الخيرات) فعل الآداب العامة والفضائل وفي قوله (إقام الصلاة) جمع الواجبات من الفرائض الدينية وكلاهما أمر غير منقطع والنفس متصلة به قبل الفعل وفي أثنائه وفيما بعده وحبل الوصل بها هو العزم على أدائها والاستمرار عليها و ما يدل على إرادة العزم من قوله (فعل الخيرات وإقام الصلاة) أن الوحي متضمن العزم على الفعل لا الفعل نفسه فقوله(وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) معناه ،ولا أقول تقديره،يشعر باختصار الكلام فالمعنى القينا في أنفسهم العزم على ذلك ففعلوه وكانوا لنا عابدين.

ومن هنا لاحاجة ،بعد هذا، إلى تأويل(فعل الخيرات)بـ (أن افعلوا وأقيموا الصلاة) بحسب ما ذهب إليه غير واحد من المفسرين [٥٨].

٢- عندما يريد القرآن الفعل نفسه بما هو سلوك له وجود خارجي معين من جهة الكيف والكم يعبر عنه بصيغة الفعل من هذه الحيثية زيادة على ذلك يشتمل السياق على ما يبين الفعل ونوعه وذلك في القرآن كثير قال تعالى:[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ] (الفيل ١) وقال تعالى:[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ... فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ] (الفجر ٦ ،١٣) وقال تعالى:[ ) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ] (الأنبياء ٦٢-٦٣ ،٥٩) وقال تعالى:[وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] (الكهف ٨٢) وقال تعالى:[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] (المائدة٦٧ ظ: آل عمران ١٣٥، والنحل ٣٥) وقال تعالى:[إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ] (المرسلات١٨ ،الصافات٣٤ ،الشعراء ١٩) وغير ذلك في القرآن كثير.

٦-نتائج الاستقراء

(أولا) تبين من استقراء البنى الصرفية واستعمالها في القرآن الكريم انه استعمال متنوع تبعا للمعنى الصرفي لكل بنية وطلبا له.ويكون المعنى الصرفي ،في عقيدتي،ظلالا ينشأ عليها تفسير الآية تلو الآية؛إذ يكون التفسير من معطياتها بمعناها وهي مفردة ، ومعناها وهي في سياقها من القرآن ضمن بناء فنيّ معجز في تركيب ألفاظ الآيات وتناسقها.

ونتيجة للاستقراء تبين أن الدلالة على العزم مما اختصت به بنية(فاعل)من الأصل اللغوي(الفاء والعين واللام)الصرفية المطلقة غير الملبسة بمادة لغوية تقيدها لأن(فاعل)دال على الذات والعزم مما يستقر في الذات بما هي باطن.

ويلحق به استعمال المصدر وقد ورد مرة واحدة في القرآن جميعه للدلالة على هذا المعنى.لأن المصدر هو ما دل على الحدث المجرد.فهو اسم قريب من الدلالة على الذات التي تدل عليها الأسماء دلالة الاستقرار والثبات.

(ثانيا) ولعل سرّ استعمال بنية(فِعل)المصدر و(فاعل) بنية اسم الفاعل الصرفية و(فعّال) بنية صيغة المبالغة للدلالة على العموم،وفيه إيحاء الثبات والاستقرار بأنها دالة عليهما؛ لأن المصدر اسم للحدث وهذه دلالة الاسم،وأن فاعل وفعال وصف للذات ووصف الثابت قريب منه،وإن كانت تدل على ما تحدثه الذات ولكن بلا قيد فالعموم الذي فيه يشير إلى عدم إرادة فعل مخصوص مما تحدثه الذات الموصوفة؛ولذلك دلالة العزم على الفعل وهو حدث باطني نفسي أوجه بها لما عليه من النصوص المتقدمة

وزيادة على أن صيغة(فاعل)لا تدل على الفعل دائما بل هي أميل إلى الوصفية والثبات من الفعلية والحركة قال تعالى:[وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ

يَغْنَوْا فِيهَا] (هود ٦٧ ــ٦٨) وهو واضح من السكون لا الحركة .وهي ،أيضا،تستعمل مع الجمل الاسمية في نحو :(زيد ناجح ،وناجح زيد).

(ثالثا) وربما توجه هذا الكلام إلى عموم استعمال هذه البنى في كلام العرب وأخص مادتها اللغوية من (فعل يفعل فهو فاعل وفعّال) لاقالبها القياسي((الفاء والعين واللام أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره))(٥٩) فرغ هذا الأصل من محتوى أنواع الفعل من الأكل والشرب ونحوهما مما هو سلوك للإنسان فإن أريد السلوك الدال على الذات في الوجود الخارجي عبّر عنه بالفعل بما هو دال على الحركة والتجدد الذي يتصف به عموم السلوك البشري.

(رابعا) لم يعبر القرآن بالفعل للدلالة على العزم ؛إذ ليس كلّ عازم فاعلا ،ولكن كلّ فاعل عازم؛ لأنّ من أزمع على الأمر ثبّت عليه عزمه سواء أكان فعل أم لم يفعل ، ولكن من فعل يكون فعله بعد ما أزمع على الأمر وثبت عليه عزيمته.

ولكن إثبات هذا الأمر يحتاج إلى استقراء كلام العرب مما لا يتسع له مقام هذا البحث .لكنّا نقرر مطمئنين بأنه سرّ من أسرار الاستعمال الصرفي للقرآن الكريم بحسب نصوصه التي سبق ذكرها . وإذا ما نظرنا لتأييد نتيجة الاستقراء في بنية مماثلة لما سبق مكسوة بمادتها اللغوية سنجد ذلك إن شاء الله وعلى النحو الآتي :-

١ــ قال تعالى:[وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ](الكهف ١٨) فاسم الفاعل هنا جاء للدلالة على الحال من الفعل إذا بسط بصيغة الماضي ثم ثبت وجمد عن الانتقال عن البسط حيث أماتهم الله ثلاثة قرون فصار فاعلا له على الدوام ويستفاد ذلك من بناء اسم الفاعل صرفا .

انه اسم يطلق على نحو الوصفية لمن فعل الفعل بدوام فصار حاله التي يعرف بها مع انه باسط ذراعيه بلا اختيار للانتقال عنه وإنما جاء منونا للدلالة على خبر استمراره مستقبلا بالنسبة لزمن الفعل.

وكونه اسم يدل على ثبوت الصفة وهي البسط لا من جهة تكرار فعل البسط منه بل صار في حال دائمة ثابتة على أول البسط الحاصل منه مع سلبه الاختيار والإرادة في البقاء أوالانتقال.

ومن هنا استعمل باسط وأعمله في(الذراعين)لأنه تضمن معنى الحال الماضية وحكمّها بحسب ما جاء من كلمات العلماء والدارسين وعليه التفسير (٦٠) وإعماله مخالف للقاعدة النحوية،وأجازه أبو حيان الأندلسي(٧٤٥ هـ) في بحره(٦١).

وأرى إن في إعماله إشارة لحدوث البسط منه مرة واحدة.فانقطعت من جهة الفعل،لان الفعل منطوٍ على الإرادة وتحول إلى الحال من الدوام بغير إرادة.فكان الدوام بالجبر والفعل بالخيار .والفعل منقطع ثلاثة قرون.

فطلب الخطاب القرآني لهذا المعنى من الدوام اسم الفاعل للدلالة على الثبوت من الاسمية.وأعمله وهو دال على الحال الماضية للإيحاء بالفعل الماضي من جهتين : (إحداهما) الحال الماضية بأنه بسط ذراعيه في زمن ماض بالنسبة لزمن الحكاية فالمعنى ولا أقول التقدير وكلبهم كان قد بسط ذراعيه ومعنى باسط الانقطاع من جهة عدم تجدد الفعل فلو لم تكن هذه الحال أيظل كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ثلاثة قرون؟ولم يتطلب الخطاب الفعل لعدم إمكان تعبيره على هذا المعنى (والأخرى) الحال المستمرة بدلالة الفعل على الحال والاستقبال فالتنوين في اسم الفاعل يخلصه إلى الاستقبال فالمعنى وكلبهم ظلّ يبسط ذراعيه وبدلالة اسم الفاعل على الحال الدائمة ودلالة المستقبل صار اللفظ دالا على موضوع الحكاية؛ ولذلك كان الصواب كله مع كلمة عبد القاهر الجرجاني إذ قال((فإن احدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا،وإن قولنا:كلبهم يبسط ذراعيه لايؤدي الغرض،وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت،ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة))(٦٢)ولو مثل

الجرجاني بـ(كلبهم بسط ذراعيه)لكان من الصواب بمكان عال؛ذلك بأن مثاله بالمضارع دال على المستقبل وفيه لمحة من دوام ينسجم مع دلالة الصفة على الدوام
لكن الماضي يعني أنه أحدث البسط ثم انقطع عنه بالصفة مع الاختيار في عدم تجدد الحدث وهو خلاف الحال على الحقيقة والله أعلم.

٢- ومن ذلك أيضا استعمل مادة الخوف اللغوية مكسوة بها تلك البنى الصرفية،(من المصدر واسم الفاعل وصيغة المبالغة)فقد استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الوجود المعنوي للخوف وهو تحسس واضطراب نفسي داخلي بتحسب وترقب لم يظهر أثرهما إلى الوجود المادي الخارجي ليكون اضطرابا يظهر على السلوك الناشئ عن الخوف .

قال تعالى في قصة موسى مع سحرة فرعون:[فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى] (طه ٦٧)
فخيفة(وهي مصدر خاف)دال على وجود حدث الخوف والخوف:أمر نفسي ذو استعداد عام فطري للتفاعل مع العوامل المكتسبة المثيرة للخوف التي ينشأ عنها سلوك الهرب وتجنب الأشياء المثيرة للمخاوف[٦٣] والمصدر في لفظ الآية(خيفة)دل على الحدث الفطري.
جرت الآية للتعبير عن الأمر الفطري في بناء ألفاظها،ونظام سياقها على تقديم الضمير في(نفسه)على ما يفسره وهو قوله(موسى)فصورة الكلام(فأوجس موسى في نفسه خيفة).
ولكن لما كان الخوف أمراً فطريا مقره النفس،وموسى موضوع السلوك الخارجي والأمر الفطري يتقدم على السلوك الخارجي لأنه يصدر عن أمر ثانوي(معقلن) مدرك كان بناء ألفاظ الآية بهذه الكيفية.ولعل حكمة في تقديم النفس على موسى للمناسبة بين النفس وفطريتها من جهة، وبين موسى وموضوعه.
وهو ،أيضا،يرسم صورة حال نفس موسى من الخوف فإن حديث الآية عن نفس موسى وما يجري فيها وعليها لا عن موسى بصورته المادية السلوكية، إنه حديث عن باطن موسى وضميره فاستحق هذا الأمر التقديم والتأخير.
زيادة على ذلك أن الفاصلة القرآنية من سياق السورة جميعها يتطلب تأخير موسى بصورة اتساقية انسيابية لا بصورة الساجع المضطر[٦٤] ففي الوقت الذي تطلب فيه الفاصلة ذلك يتطلب الموضوع الأمر نفسه من التقديم والتأخير إشارة إلى ذلك كله .فلا يمكن الاقتناع بأن الفاصلة وحدها هي من تطلب ذلك التقديم من غير وجود حكمة أخرى فيكون على نحو الاضطرار فإنما يضطر غيره ،ولكن ليُقل المناسبة بين الفاصلة وموضوع الآية المقصود جعل سياقها منطويا على التقديم والتأخير والله أعلم .

٣- قال تعالى في قصة إبراهيم وضيفيه من الملائكة:[فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ](هود٧٠ -٧١ ،ظ: الذاريات٢٨) ثم قال تعالى:[فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ](هود ٧٤ -٧٥) فموضوع هذه الآية مثل سابقها في بيان الأمر الباطني بإضمار الخوف من حالهم الذي نكر إبراهيم(ع) ظاهر في قوله(أوجس)لأن الوجس((بوزن الفلس الصوت الخفيّ،ولعله حديث النفس ،...وأوجس في نفسه خيفة أضمر وتوجس أيضا))[٦٥] وهو ما عليه التفسير بإضمار الخوف [٦٦].
أما ما يُتَوَهَّم نقض هذا المعنى من قوله(قالوا لا تخف) إذ يقال:كيف يكون خوفه مضمرا؟ومن أين علموا به لو لم يكن ظاهرا عليه فقالوا :(لا تخف) ؟
وأيسر جوابه أن يقال ذلك إشارة إلى أنه أخبرهم به وذلك قوله تعالى:[وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ] (الحجر ٥١ -٥٣) ولو لم يخبرهم لما عرفوا ذلك مما يظهر عليه من الخوف نعم .. قد يعلمونه من

جهة أنهم ملائكة يطلعهم الله على حاله وهذه حيثية أخرى وهي بعيدة عن موضوع الآية لأنه لو أطلعهم لما احتيج إلى الإخبار. زيادة على أن في هذه الآية ردّ على من زعم أنّ البشرى هي ((حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط وليسوا إياه يُريدون)) [٦٧] فكيف يكون ذلك بشرى وهو يحاورهم في طلب العفو عنهم . وما هذا التفسير إلا وهم لأنه يصور إبراهيم رجل من العامة لا يعنيه من الأمر إلا نفسه وعياله ونجاتهم.

ومما تقدم يتحصل إن النفس هي مقر الخوف عادة فعبر القرآن عنه بالمصدر عناية بهذا المعنى ورمزا يشير إليه لدلالته على معنى الحدث لا على حصوله فعلا بصورة السلوك الظاهر مما يتلاءم معه التعبير بصيغة الفعل ومن هنا يظهر الشكل الآتي للتعبير /

الخوف(معنى خفيّ) يعبر عنه بالمعنوي ———— المصدر (معنى الحدث) يعبر عن المعنوي، السلوك(مادي ظاهر) يعبر عنه بما دلالته مادية ———— الفعل(صورة الحدث) يعبر عن المادي.

ولا يتوقف الباحث في الحكم باطّراد التعبير بالمصدر عن المعنوي الخفي وما موضعه النفس لشيوعه فقد ورد هذا النمط من التعبير في ستة وعشرين موضعا من القرآن.قال تعالى:[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (النور ٥٥) فقد عبر عن الأمرين الباطنيين المعنويين به وهما الخوف والأمن وظاهرة صورة هذه الآية وموضوعها بسبب نزولها ،كما هو مشهور، أنها في أول الدعوة وخوف المؤمنين من المشركين المتجبرين وتخفيهم عن الأنظار فوعدهم الله بالنصر عليهم في الحرب معهم وإبدال ظروف الخوف بحال الأمان فدلالة المصدر في التعبير عن الخفي المعنوي ظاهرة .

قال تعالى:[وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ] (الأعراف ٢٠٥) وقال تعالى:[ ) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ] (الرعد ١٣ ، الإسراء ٥٩ ، الروم ٢٨) وقال تعالى:[ ) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا] (الروم٢٤) وقال تعالى:[فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ] (الذاريات ٢٨) وقال تعالى:[وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (المائدة ٦٩) وفي هذه الآية قرن الحزن بالخوف من خلال النسق بينهما بالواو وكلاهما أمر موضعه النفس وهو مما يخفى على الناظر عادة والعطف بين الأمرين المتساويين مطّرد في القرآن[٦٨] .

(خامسا) يكاد يطرد استعمال القرآن للمصدر دلالة على الأمر الخفي الباطني وبنحو العموم قال تعالى:[زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ] (آل عمران ١٤) وقال تعالى:[وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] (العاديات٨ ،ص ٣٢) وقال تعالى:[وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي] (طه٣٩) فهذه الأمثلة القرآنية كلها تعبر عن أمر باطني مقره النفس وخلجاتها فحبّ الشيء هو من الغرائز غير المرئية فإنه عبر عنه بالشهوة مما هي أمر خفي معنوي.

سادسا وربما نقل المصدر من دلالته على ما هو معنوي إلى الدلالة على ما هو حسي (مادي) لتنزيل المادي منزلة المعنوي.

يتصرف القرآن باللغة تصرفا عجبا من الروعة والدقة من ذلك نقله دلالة مصدر الفعل (مسّ مسا) من المعنوي إلى المادي الظاهر قال تعالى:[الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ] (البقرة ٢٧٥) وقد تصرف الزمخشري في هذا النص بإخراجه مخرج التقديم والتأخير فالمعنى عنده لا يقومون من المس إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان [٦٩]ولست أرى بالنص حاجة إلى التقديم والتأخير لأنهم سيقومون كذلك بسبب المس فأين اثر الربا بل المعنى عندي (ولا أقول التقدير) والله اعلم لا يقومون من الربا إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

ولما سبق ما دل على معنى (من الربا) انقضت الحاجة إلى ذكره من المعنى المدلول عليه بجملة ((يأكلون الربا)) والآية محكمة البناء ومن هنا فانّ المس أمر معنوي .والربا أمر مادي فقد انزل القرآن المعنوي منزلة المادي وانزل المادي منزلة المعنوي ليدل هنا على أمرين.

أ –إن الربا له أثر معنوي كأثر المس من الشياطين فالممسوس يقوم بخيال وعدم اتزان وكذلك آكل الربا [٧٠]

ب – ثمة تشابه يلتقي عليه المس والربا. هو صورة القائم من التخبط بمعنى إن آكل الربا والذي مسه الشيطان يتخبطه بمعنى يضربه،يقومان مصروعين في عدم الاتزان والجنون من الفزع يوم القيامة،ومن ضرب الشيطان ومسه.

يعبر القرآن بالفعل(مسّ)عن مسِّ الأمور المعنوية قال تعالى:[أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] (البقرة ٢١٤) والبأساء والضراء أمران معنويان عبارة عن حوادث الدهر ونوائبه وإن كان لهما أثر ماديّ والله أعلم.

سابعا أما استعمال خائف(بنية اسم الفاعل الصرفية)الدالة على اتصاف الذات بالخوف على نحو التلبس والاستغراق حتى يطلق وصفا لأهله قال تعالى:[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (البقرة ١١٤) فالخوف هنا أمر باطني وفي التفسير أنه التهيب من المؤمنين أن يبطشوا بهم [٧١] قال تعالى في قصة موسى عليه السلام بعد قتله عدوه:[فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ] (القصص ١٨) قال تعالى:[فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] (القصص٢١) فالمعنى والله أعلم سكن الخوف في نفسه حتى صار ينتظر المكروه ويترقبه.وهو ما عليه التفسير[٧٢] ولو كان الخوف ظاهرا منه لقال هرب أوفر لأنهما من آثار الخوف،ولو كان خوفه ظاهرا لجاء التعبير بما يدل على الفرار إشارة أو تصريحا كما قال في موضع آخر قال تعالى:[فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ] (الشعراء ٢١) فقد عبر بصيغة الفعل (فررت ،خفت) فيما يكون موضوعه السلوك وهو الفرار فلاءمه التعبير بالفعل (خفت) وذلك في قصة موسى نفسها بعد أن قال له الرجل أن القوم يأتمرون لقتلك فالظاهر أن موسى صار إلى الخوف الذي اضطره إلى الفرار.لأنه [فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] (القصص ٢١) وذلك بعد ملاحقته والله أعلم وعليه التفسير[٧٣] والملاحقة بعد إخبار الرجل له فعبر بـ(فررت) ومن ظهور الانتقال بالتعبير عن معنى الخوف من الباطن (الذات) إلى الوجدان الخارجي التعبير بالفعل بدلالته على الحركة والتجدد السلوكي للإنسان وذلك قوله تعالى:[قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى] (طه ٤٥) فالخوف هنا معبر عنه بالفعل (صرفيا)للدلالة على أثر الخوف وتحوله من المعنى النفسي الباطني إلى الوجود السلوكي فقولهم (نخاف أن يفرط علينا)دال – والله اعلم – على أثره في سلوكهما من التبليغ والذهاب إلى فرعون على حدّ التردد والحيرة في الإقدام على هذا الأمر.حتى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا بالعدوان فآمنهما وقال (لا تخافا أنني معكما أسمع وأرى)للإفادة من ذلك حضوره في الدفاع عنهما حينذاك لان من يسمعك ويراك يعني انه حاضر معك ومثله قوله تعالى:[وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى] (طه ٧٧) فمعناها أن الله معك فلا تخف[٧٣] ومنه قوله تعالى في الصلاة في ساحة الحرب:[فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] (البقرة ٢٣٩) فالمعنى أداء الصلاة راجلين (ماشين)حين ظهور الخوف عليهم،الخوف المانع من الصلاة الاعتيادية أو ركبانا في حال ركوبهم الخيل.وما هذه الصلاة إلا تعبير عن

الخوف من العدو،الخوف الظاهر الفارق بين الصلاة الاعتيادية في حال كونهم راجلين أو راكبين عند الخوف.والله اعلم.وهذا مفصل آخر من استعمال القول في الدلالة على السلوك؛أو أثره فيه.ومعنى يفرط في الآية محل البحث المتعدي بـ(على) يعجل علينا، أي يعاجلنا بالأذى والتكذيب . فيقال ((فرط في الأمر قصر فيه وضيعه ...وفرط عليه أي عجل وعدا ومنه قوله ((أن يفرط علينا))...)) [٧٤] وهكذا تأن القرآن في التعبير عن الظهور أثر الخوف في سلوك الإنسان فما يكون سلوما ماديا يعبر عنه بالفعل لدلالته على الحركة ويعبر عن الخوف بما يناسب السلوك للدلالة عليه بالفعل ليشير إلى أنّ الخوف في مثل هذه الآيات مظهر سلوكي لما في الفعل من الحركة والتجدد كقوله تعالى في ابن آدم:[لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ] (المائدة ٢٨ ظ:٢٩/٢٧) فكان الخوف بحب معنى السياق ،والله اعلم،مانعه من بسط يده للقتل فالامتناع من الإقدام على هذا الأمر ناشئ عن الخوف. ومثله قوله تعالى:[إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا] (الإنسان ١٠ ظ: النور ٣٧).وذلك قوله تعالى[وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا] (الإنسان ٨ –٩) نتيجة سببها قوله تعالى:[إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا] (الإنسان ١٠ ظ:النور ٣٧) فما عقب هذه النتيجة من إعطاء الطعام وظهور حالة ضعف البدن ،وشحوبه، وعناء الصوم ونحو ذلك هو من المظاهر التابعة إلى حضور خوف الله في نفوسهم وظهورها بصورة هذا السلوك إلى الخارج والله اعلم .

فثبوت الخوف من الله في نفس الإنسان وظهور أثره في سلوكه مطلب قرآني يعبر عنه بالفعل صرفيا قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (المائدة ٩٤) فمعنى ذلك –والله اعلم – أن يلحظ خوف الله على سلوك الإنسان بالتهذيب واجتناب العدوان بعد أن يستقر الخوف في نفسه متبعا سلوك الإنسان الصالح بالتزام الخلق الحسن ليس الخوف دائما هو ما ينشأ عنه الهرب ((فنحن لا نعود نعبر عن جميع مخاوفنا بالإجفال أو الهرب الجسمي بل بمراعاة القانون،والمحافظة على الصحة وحسن معاملة الناس...)) [٧٥] وعلى هذا يجري استعمال أفعال المصادر الواردة في متن هذا العنوان من البحث.

وخلاصة ذلك أن الاستعمال القرآني يعبر عن موضوعاته بما يناسبها ففي المعنوي يعبر بالمصدر وفي المادي يعبر بالفعل وهذه ركيزة رئيسة في اعتماد دلالة الاسم (المصدر بما هو اسم للحدث) على الثبات من جهة ، ودلالته على المعنوي لأنه اسم للحدث مفرغ من الدلالة على الزمن السلوكي للحدث .

وهو ركيزة رئيسة في اعتماد دلالة الفعل على الحركة والتجدد بما هما مظهر سلوكي في الوجدان الخارجي فعبر عن الفرار وهو سلوك بالفعل وعن الخوف وهو معنى بالفعل للنسبة بينهما وهكذا بقية الأمثلة مما سبق بيانه بما يغني عن إعادته.

ثامنا:- لم يقف هذا النمط من التعبير بالمصدر على الدلالة على معنى وبالفعل للدلالة على معنى آخر،في الاستعمال القرآني لم يقف عند حدود الأفعال الدالة على الأمر المعنوي.بل يتعداها إلى الأمر المادي المحسوس من ذلك مثلا العطية وهي أمر له مادة هي عين(المعطى)فيعبر القرآن عنها بالمصدر عندما تكون مطلقة،لأن المصدر بحسب الاستقراء اسم لمطلق الحدث بلا قيد.فناسبه التعبير عن المعنى المطلق.والفعل مقيد بزمن،ونوع،ومادة،وفاعل فلاءمه التعبير عن المقيد من العطية المعينة المحدودة.وذلك ظاهر في نصوص كثيرة من القرآن الكريم.منها:

١– قال تعالى:[ ) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى] (النجم ٣٣ – ٣٤) فالعطاء محدود بالقلة.

٢ـ قال تعالى:[قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] (طـه ٥٠) فالعطاء محدود بصورة الخلقة من العين والفم والأيدي ونحوها،بحسب بعض التقارير،أو أعطى خلقه كل شيء أن يكون خلقه مفعول به أول لأعطى،وكل شيء مفعوله الثاني والمعنى أعطى خلقه ما يحتاجون إليه من السمع والبصر ونحوها.(٧٦) .

٣ـ قال تعالى:[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] (الكوثر ١)فالكوثر معين على كل تفسير سواء أكان هو النهر في الجنة،أو كناية عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

٤ـ قال تعالى:[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى] (الليل ٥)والعطاء هناهو الحق المعلوم من الزكاة

٥ ـ قال تعالى:[قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ] (التوبة ٢٩)فالعطاء متفق عليه من الجزية

٦ـ قال تعالى:[وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] (الضحى ٥) فالعطاء محدود يتحقق الرضا سواء أكان عن قليل أم كثير

٧ـ قال تعالى:[ ) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ] (التوبة ٥٨) فالعطاء محدود بقوله (منها)أي بعضا منها بدلالة معنى التبعيض في الحرف (من).

٨- قال تعالى:[فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ](القمر ٢٩) العطاء هنا بحسب ما جاء في تفسيره تعاطي السيف ، أو أمر العقر ،أو تعاطي الناقة والآخذ هو(قدار بن سالف أحيمر ثمود) (٧٧) فالعطاء ،إذا،هو أخذ محدود بحدود المأخوذ بيد من عقر الناقة والله أعلم.

ولكن حين عبر عن العطاء المطلق غير المحدود وغير المعين بنوع من أجناس المعطى استعمل بنية المصدر الصرفية من أعطاه عطاءً وبالشكل الآتي :

١- قال تعالى:[ ) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ](هود ١٠٨ ،الأنبياء ٣٦ ،٤٠٦) جاء في وصف الخلود في الجنة أنه ما دامت السموات والأرض ثم وصفه القرآن بأنه(غير مجذوذ)بمعنى غير مقطوع.فهو غير محدود.قال الزمخشري(٥٣٨ هـ)((لهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة ممالا يعرف كنهه إلا هو))(٧٨)فالعطاء ثابت لهم بوعد الله على نحو العموم فعبر للدلالة عليه بما يفيد العموم وهو (بنية المصدر)عطاء.

٢ـ قال تعالى:[كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا](الإسراء٢٠) أي ممنوعا بسبب المعصية؛وأما العطاء فغير محدود من رزق الحياة وحسن الخلقة والهداية،بالنسبة للمهتدين،والعاقبة وغير ذلك فالعطاء متنوع،غير محدود الكمية،ولا الزمن.بمعنى لا يشمل قوم في عصر ما،بل يشمل كل قوم في كل عصر.

٣ـ قال تعالى:[هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] (ص ٣٩) فعطاؤه تعالى غير محدود وكذلك لأن(هذا)اسم إشارة لما قبل هذه الآية من قوله تعالى:[فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا...](ص ٣٦ ـ٣٩) .

٧ـاطراد استعمال البنية الصرفية في الخطاب القرآني

ليس القرآن الكريم في معرض بيان قواعد الاستعمال اللغوي حتى يقال عن اطراده فيما يمكن أن يسمى قاعدة نحوية أو صرفية قرآنية. فالقرآن الكريم يجري في استعمال الألفاظ وأنواع البنى الصرفية بحسب ما يتطلب المعنى .

وهذا الذي توصل إليه الاستقراء من طول النظر في آياته وتفحصها ومقابلة ألفاظها يعد من خصائص الاستعمال القرآني وأسراره .

القرآن يرسم لاستعمال الألفاظ طريق المعنى فحيث توجه المعنى مال الاستعمال إلى جهة طريقه في بناء ألفاظه وتركيبها خدمة لهذا المعنى.

ففي الاستعمال القرآني ترد الآية في موضعين من القرآن مع زيادة حرف أونقصان حرف وما ذلك إلا متابعة لمتطلبات المعنى.حتى ليصح أن تكون الآية دليلا على تفسير الآية.ومن هنا نشأ تفسير القرآن بالقرآن.

فنقرأ في سورة الأنعام قوله تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] (الأنعام ١١٢) ونقرأ في السورة نفسها قوله تعالى:[وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] (الأنعام ١٣٧) فما المعنى الذي تطلب وجود (الكاف)في آية وحذفها في الأخرى.

إن تساؤلا هكذا بنيته الفكرية وهذا رمزه.من الوعي،يقفنا على أسرار الاستعمال القرآني الدقيقة،فعند النظر في سياق الآيتين وصدرهما وعجزهما وتفحص صلتها بما قبلها أو استقلالها ينار طريق الخطاب القرآني ليس في هاتين الآيتين بل لعل ذلك يجري في القرآن جميعه.

يلحظ أن الآية الأولى امتداد في الخطاب الموجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك قبلها بخمس آيات ويستمر بما بعدها بسبع آيات.

وذلك أن الخطاب موجه إليه(صلى الله عليه وآله وسلم) فعبرت الآية بذكر الكاف عن قرب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) المعنوي لأنّ الكاف ضمير المخاطب الحاضر فقال تعالى:[اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ] (الأنعام ١٠٦) ولم يقل من الله إلى أن قال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] (الأنعام ١١٢) استمرارا لتوجه الخطاب إليه ورجوعه عليه بعد طول الالتفات البلاغي في التحول من المفرد إلى الجمع ومن الغيبة إلى الحضور وبالعكس إلى أن قال في سياق الخطاب نفسه:[وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (الأنعام ١١٥) وهكذا يعود إلى خطابه(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد كل التفات بلاغي طال أو قصر،ونجد جزءً من آيات الخطاب القرآني مختومة بقوله تعالى:[إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] (الأنعام ١١٩) ثم إلى الالتفات الذي استمر ست آيات قال تعالى:[وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ...] (الأنعام ١٢٦) ثم عاد إلى الالتفات الذي خرج منه بقوله تعالى:[... إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] (الأنعام ١٢٨) ثم عاد إلى الالتفات الذي استغرق آيتين فرجع إلى خطابه(صلى الله عليه وآله وسلم) في صدر آية قال تعالى:[ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ] (الأنعام ١٣١) فاستمر هنا بخطابه(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي استمر ثلاث آيات ثم عاد إلى الالتفات مخاطبا أهل الشرك حتى وصل الآية محل البحث من قوله تعالى:[وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] (الأنعام ١٣٧)

فلوحظ من هذا التتابع أنه يذكر(لو شاء الله)فيما يكون فيه الخطاب للمشركين.كقوله تعالى:[وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] (الأنعام ١٠٧) ويذكر (ولو شاء ربك) فيما يكون فيه الخطاب موجها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن ذلك كله يروم القرآن الكريم بيان أن المشركين الذين ابتعدوا عن الله أبعدهم الله عن رحمته لأنّ الهاء ضمير الغائب (البعيد) ،وان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تقرب إلى الله بطاعته هو قريب من الله ورحمته وهو ناصره وحافظه .

ولهذه الخصائص ،التي سبق ذكرها، تفرد القرآن في اطراد أساليبه الفنية واستعمالاته النحوية والصرفية في الخطاب القرآني

فإذا اطرد،كما سبق بيانه، استعمال المصدر واسم الفاعل والفعل للمعاني المذكورة آنفا.فـان الخطاب القرآني يستثني بعض المصادر من هذه الخواص المذكورة من دلالتـه علـى العمـوم والثبات وذلك عندما تأتي هذه المصادر مفعولا مطلقا مؤكدا لفعله كقوله تعالى:[وَيُرِيـدُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا] (النساء ٢٧ ط: ١٠٢) كقوله تعالى:[حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُـوا كُـلَّ الْمَيْلِ] (النساء ١٢٩) وقوله تعالى:[وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا] (المدثر ٣٠) وقوله [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا] (الفجر ٢٠) وجاء المصدر وصفا مقدرا على التمييز متعلق بما فيه من الفعل مما يخرج به عـن تكلـم الخصائص كقوله تعالى:[قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] (يوسف ٣٠) و قال تعـالى:[وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ] (البقرة ١٠٩) ففي هذه الآيات جاءت الفاظ المصادر متعلقة ببيان توكيد الفعل أو صفته بنحو التمييز . والمعنـى ،ولا أقول التقدير،أحبها حبا ،ويحسدونكم حسدا.

ولا يعد هذا فرقا لما اطرد من خصائص الاستعمال الصرفي في الخطاب القرآني بل جاءت على قواعد العربية مما جاء على سمت العرب في كلامها (٧٩).

ومن المصادر التي استعملت في القرآن الكريم رمزا يشير بمعنـاه الـصرفي ،فـي هـذا الاتجاه،إلى المعنى الكلي قوله تعالى:[أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ] (ق ٢) . فذهب الطوسي إلى معنى (لأن كنتم مسرفين) وهو قول غير واحد من المفسرين(٨٠) ولست اتفق معهم في ذلك بل المعنى أكثر رونقا مع البـاء ذلـك بـأن الـضرب صـفحا يكـون بـسبب إسرافهم،فيكون تعليلا ،وسنة القرآن في التعليل يقول (ذلك بأنهم).

والصفح في اللغة هو الناحية والجانب واستعماله هنا إشارة إلى توجـه الفعـل، ووظيفتـه النحوية بيان فعلها بنحو التوكيد.والمعنى ولا أقول تأويل الآية أو تقديرها،أفنصفحُ عنكم الـذكر صفحا؟ أو أفنترك القرآن بسبب إسرافكم؟ أو أننحي عنكم الذكر جانبا؟.

وجيء بالفعل (نضرب)للدلالة على القوة للمعاني المشتركة في الضرب،والمصدر هنا بمعناه الصرفي يدل على الحدث العام بما يؤدي إلى تفسير الآية فهو لم يترك، ولم يصفح وإنما أشـار إلى الحدث. فالمعنى الصرفي عمل على توجيه معنى الآية الكلي بتفسير (نضرب) الذي تشترك فيه عدة معان.

واستمرارا في بيان خصائص الاستعمال الصرفي لبنية الألفاظ في الخطاب القرآني أن يـرد الفعل وهو يؤدي معنى المصدر. وإذا كان المصدر اسما للحدث يدل ما يدل عليه الاسـم مـن الثبات فقد عبر القرآن عن هذا الحدث بالفعل بعد أن حوله من الفعلية لأن يكون ركنا للثبات من الجملة الاسمية مصدرة بـ(أن) .قال تعالى:[اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَـى] (طـه ٤٣) فقـد جـاء الفعل(طغى)خبر إن المؤكدة،فالقرآن،والله اعلم ــ لم يرد الفعل من الحركة السلوكية والتجدد وإلّا لجاءَ التعبير بـ(قد طغى).فان المعنى ولا أقول التقدير أنه طاغيا.ولذلك قال تعالى على لـسان موسى وأخيه(ع) :[قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى](طه ٤٥) أوكان الفرعـون لمّـا يطغى زمن الخطاب وقد قال تعالى:[اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى]؟

لمّا كان الطغيان من قوله(إنه طغى) وصفا اسميا توجه خوف موسى وهارون إلى تحول هذه الصفة من الثبات إلى الحركة بأن تكون سلوكا له في الردّ عليهما؛ ذلك بأن المرء قد يصدر عنه فعلٌ غفلة أو غضبا فيتصف بالظلم والطغيان ولا يكون ،بذلك، طاغيا، لكن الذي يكون الطغيان والاستكبار والتجبر صفته الملازمة لذاته التي بها يعرف لا يصدر عنه غير الظلم والطغيان .

ومن هنا يعدّ هذا الاستعمال إشارة عند الباحث لقراءة المعنى الصرفي له قراءة تفسيرية في هذه الآية وفي غيرها .

٨- الخاتمة

بعد هذه الرحلة في قراءة المعنى الصرفي للخطاب القرآني أودّ الإشارة إلى أنّ فكرة هذا البحث جاءت من سؤال محدد أثارته في ذهني طبيعة الدراسة في قاعة الدكتوراه إذ قرأنا الدرس الصرفي على الأستاذ الدكتور هاشم طه شلاش (أطال الله في عمره).

ركنت هذا السؤال في حافظتي إذ شغلت بالتفكير بموضوع في فلسفة النحو أعمل على تسجيله أطروحة للدكتوراه وقد تمّ بحمد الله. واليوم كان ذلك السؤال موضوع هذا البحث.

لقد سار البحث في هذه القراءة على طريق واضح يحقق هدفا أتشوّف إليه في فهم النص القرآني.

أما السؤال فهو لماذا جاء هذا النص في هذه الآية على هذا النحو وهل يمكن غيره؟وما المعنى الذي يؤديه هذا النص،وذاك الممكن لو تغيرت صيغة هذا اللفظ الصرفية أو تلك البنية الصرفية ومعناها؟

وقد توصل هذا البحث إلى أن كل كلمة بل كل حرف يوضع في القرآن لا يمكن أن يحل غيره محله ليؤدي المعنى المقصود نفسه وأن التنويع في استعمال البنى الصرفية للخطاب القرآني ليس تنويعا لسعة اللغة ومرونتها وحسب؛بل تنويع يجر وراءه معان متنوعة.

أما الطريق فهو طريق تنكب عن التأويل،والتقدير وادعاء التقديم والتأخير،فسار مع المعنى متلمسا أدلته في سياق التركيب القرآني وخصائصه الفنية،والتماس أساليب الخطاب القرآني والتوسع في استعمال البنى الصرفية والانتقال بها من الدلالة على معنى إلى غيره،أو في استعمال اللفظ الملائم للدلالة على المعنى المناسب له حدا بحد مستعينا بمجموعة من تفاسير علماء المسلمين(رحمهم الله).

أما الهدف فهو الوصول إلى القناعة العقدية بأن الخطاب القرآني ينطوي على الدقة والوضوح في التعبير عن المعاني لكنهما لا يعطيان بيديهما إلا للفهم الدقيق والواضح الذي عدل عن طريق التقديرات النحوية،والتأويلات التعبيرية،وليّ أعناق الآيات إلى التساوق مع رواية موضوعة أو ضعيفة يعتمدها القوم في تفسير القرآن الكريم.فيجب رفض ذلك كله بالركون إلى جانب المعنى،المعنى وحده،وقواعد استنباطه وهذه نتيجة أولى لهذه الدراسة.

ثم أجرى الباحث استقراءً للبنى الصرفية وأنماط استعمالها في الخطاب القرآني؛فوقف على ألوان من التعبير المعتمد في إظهار المعنى على أنواع هذه البنى الصرفية.فوقف على معان عدة،ومتنوعة،تبوح بتفسير النص وتشير إلى مفاتحه مما يقفنا على أن قراءة المعنى الصرفي هي قراءة تفسيرية.

وبعد..

فإن أصاب هذا البحث فذلك من فضل الله تعالى عليّ وعونه فأحمد الله وأشكره،وإن اخطأ فذلك من عجزي عن فهم معاني القرآن ودلالاته الصرفية والتفسيرية،وإدراك أسرارها والإحاطة بقواعدها فاستغفر الله لذلك وأحمده على كل حال وإنما

يريد المرء أن يعطي مناه ويأبى الله إلا ما يشاء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . فهو حسبنا نعم المولى ونعم النصير،وهو من وراء القصد.

النجف الأشرف — د. رياض البديري

١٥ رجب ١٤٢٨ هـ — جامعة الكوفة /كلية الفقه

٣٠ /٧ /٢٠٠٧

الهوامش

١. ظ: المفردات في غريب القرآن ٥٠
٢. ظ: المصدر نفسه.
٣. ظ: اللغة والمعنى والسياق ١٣
٤. ظ: لسان العرب ٩ : ٤٤٦ (عنا).
٥. ظ: النص القرآني ١٧، بلاغة الخطاب وعلم النص ٢٣٢ .
٦. ظ: اللغة والفكر ٩٥، في معرفة النص ٣٨ – ٣٩ .
٧. المعنى الأدبي ٦٥ .
٨. المصدر نفسه.
٩. أوزان الفعل ومعانيها ٥٦، ظ:٥٧ –١١٠ .
١٠. ظ:المزهر ٢ : ٨٣ .
١١. ظ: معاني الأبنية ١٩ .
١٢. اللسان ٨ :٤٦ –٤٩ (ضرر) .
١٣. الكشاف ٣: ١٣١ .
١٤. ظ:الكشاف ٢ : ٣١٧، ٣٣٣ .
١٥. ظ:الكتاب ٢:٢١٣ –٢١٤ (بولاق)، معاني القرآن للفراء ٢ : ٢١٥ ، المقتضب ٢ :٢١٩ ، شرح المفصل٥ : ٨١،٢٥،١٥، ٨٢ ، شرح الرضي على الشافية ٢: ١٢٠.
١٦. المخصص ١٢ : ٢٤٦ .
١٧. شرح الشافية ٢ : ١٥٢
١٨. ظ:الكشاف ١ : ٤٩٤ ،روح المعاني ٤ : ٥٣٨
١٩. ظ:الكليات ٩٥
٢٠. المثل السائر ٢ : ٥٧
٢١. ظ:تفسير الطبري ٢ : ٣٩١ ،الكشاف ١ : ٢٩٣
٢٢. ظ:تفسير الطبري ٢٨ : ١٦٥ ،روح المعاني ٢٨ :٤٨٤
٢٣. ظ:روح المعاني ٢ : ٤٢
٢٤. ظ:تفسير الطبري ١١ : ٣٦
٢٥. تاج العروس ٣ :٣١٩
٢٦. ظ:تفسير الطبري ١٣ : ١٠٣ ،الكشاف ٢ : ٤٨٣
٢٧. روح المعاني ١٣ : ١٣٠ ،ظ: ٢٩ : ١٣٢ .
٢٨. ظ: المصدر نفسه :١٥ : ٢٦٥ .
٢٩. تفسير الطبري ١٥ : ٢٧٥ ، الكشاف ٢ : ٦٨٥ .
٣٠. ظ: روح المعاني ١٥ :٤٠٠ .
٣١. ظ: الذريعة على أصول الشريعة ١ :٢٧ – ٢٨ .
٣٢. ديوانه ١ :١١١ .
٣٣. ظ: روح المعاني ٢٦ : ٤٥٠ .
٣٤. . تفسير الطبري ٢٣ : ١٢٤ .
٣٥. الكشاف ٤ :٧٥ ، ظ:روح المعاني ٢٣ : ٢٢١
٣٦. الميزان في تفسير القرآن ٣ : ٨٦
٣٧. مجمع البيان ٥ : ٣٣٦ ،ظ:١٠ : ٣١٩ ،ظ:إملاء العكبري ٢ : ٤٥ ــ ١٤٦
٣٨. ظ:تفسير الطبري١٢ :١١٨ والكشاف ٢ : ٤٠٥.
٣٩. الكشاف ٤ : ٧٣٤ (تفسير سورة البروج).
٤٠. الانتصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٤ : ٧٣٤ (في حاشية الكشاف).
٤١. ظ:تفسير الطبري ١٧ : ١٠ ،وجمع البيان ٧ : ٧٧ .
٤٢. الكشاف ٣ :١٠٧ ،ظ:معاني الفراء ٢ : ٢٠٠ .
٤٣. إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣١ .

٤٤. تفسير الطبري ١٧ : ٥٤ .
٤٥. مجمع البيان ٧ : ١٠٤ .
٤٦. شرح أسماء الله الحسنى ١٢٧ ، ظ: الكشاف ٣: ١٣٠ ،مجمع البيان ٧ :١٠٤ .
٤٧. تفسير الطبري ١٧ : ١٠٢ ،ظ: مجمع البيان ٧ : ١١٩.
٤٨. الكشاف ٢: ٦٦٨ ،ظ: كتاب الانتصاف بهامشه ٢ : ٦٦٨ ،ومجمع البيان ٦ : ٣٢٩
٤٩. تفسير الطبري ١٥ : ٢٢٨
٥٠. ظ: تفسير الطبري ١٥ : ٢٢٩،الكشاف ٢ : ٦٦٨ ،مغني اللبيب ٨٣٧ .
٥١. ظ: معاني القرآن للفراء ١: ٤٧٣ ،٢ : ١٨٥ ،الكشاف ٢ : ٤٢٣ .
٥٢. ظ:جمهرة اللغة ٢ :١٠٣ واللسان ٤: ٥٧ مادة (جمع)
٥٣. الكشاف ٢: ٤٢٢ ، ظ: روح المعاني ١٢: ٥٢٨ ، ومجمع البيان ٥ : ٣٦٥ .
٥٤. ظ: تفسير الطبري١٣: ٩ ،الكشاف ٢ : ٤٥٧ ، مجمع البيان ٥ : ٤٢٣ .
٥٥. الكشاف ٣: ١٢٦ ،ظ: مجمع البيان ٧ :٩٨ .
٥٦. ظ: تفسير الطبري ١٤: ٤٣ ، الكشاف ٢: ٥٤٧ ،مجمع البيان ٦: ١٢٤ .
٥٧. ظ: لسن العرب ١٥ : ٢٣٩ ، تفسير الطبري ٧: ١٢٨ ،١٤: ١٣٩ ، ١٧ : ٤٩ ،الكشاف ٢ : ٥٧٦ .
٥٨. ظ: تفسير الطبري ١٧: ٤٩ ، الكشاف ٣: ١٢٨ .
٥٩. معجم مقاييس اللغة ٤: ٥١١،ظ:الكليات ٢٤٨ .
٦٠. ظ:مجمع البيان ٣ : ٤٥٥ ،الكشاف ٢ : ٦٦٢ ،،معاني القرآن/الكسائي ١٨٥ ،روح المعاني ١٥ :٢٨٧ .
٦١. ظ:شرح ابن عقيل ٢ :١٠٦ ،البحر المحيط ٦ : ١٣٧ .
٦٢. دلائل الإعجاز ١٥٧ .
٦٣. ظ:أصول علم النفس ٦٥ ــ ٦٧ .
٦٤. ظ: سورة طه لملاحظة الفاصلة فيها .
٦٥. تاج اللغة ٤ :١٧٩ (وجس).
٦٦. ظ: تفسير الطبري ١٢ : ٧١ ، الكشاف ٢: ٣٨٧ ، مجمع البين ٥ : ٣٠٦ .
٦٧. ظ:تفسير الطبري ١٢ :٧٧ .
٦٨. ظ: العطف بحرف الواو في القرآن الكريم ١١٦ .
٦٩. ظ:الكشاف ١ : ٣٤٧ .
٧٠. ظ:أمالي المرتضى ٥.
٧١. ظ:الكشاف ١ : ٢٠٥
٧٢. ظ:الكشاف ٣ : ٤٠٣
٧٣. ظ:مجمع البيان ٧ : ٤٣
٧٤. تاج اللغة ٣ : ١٦ (فرط)
٧٥. أصول علم النفس ٩٧
٧٦. ظ:الكشاف ٣ : ٦٨
٧٧. ظ: الكشاف ٤ :٤٣٨ .
٧٨. الكشاف ٢ : ٤٠٥
٧٩. ظ: روح المعاني ١٢ :٥٧٠ .
٨٠. التبيان، الطوسي ٩ : ١٧٧ ،إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٧٩ ،البحر المحيط ٨ : ٦

المصادر

أولا :القرآن الكريم.
ثانيا: مصادر البحث ومراجعه.
١. الاجتهاد في النحو العربي /د رياض كريم البديري .- أطروحة دكتوراه/جامعة بغداد؛كلية التربية/ابن رشد، ٢٠٠٦ مـ.
٢. أصول علم النفس/د. أحمد عزت .ـمصر ؛المكتب المصري الجديث للنشر، (د. ت) .
٣. إملاء ما منّبه الرحمن من إعراب القرآن / ابو البقاء العكبري ؛ تح إبراهيم عطوة.- القاهرة : مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦١، ط ١ .
٤. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / أحمد بن محمد الاسكندري .- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١ ، ط٢ .- (مطبوع بحاشية الكشاف) .
٥. أوزان الفعل ومعانيها / د هاشم طه شلاش . – النجف الأشرف : مطبعة الآداب ،١٩٧١ .
٦. البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي . – القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٨ هـ .
٧. بلاغة الخطاب وعلم النص / د صلاح فضل .- الكويت، ١٩٩٢ ، ط١ .- (سلسلة عالم المعرفة).
٨. تاج العروش / محمد مرتضى الزبيدي ؛ تح عبد الكريم العزباوي .- الكويت : دار الهداية للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .
٩. تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل بن أحمد الجوهري ؛ تح احمد عبد الغفور .- مصر، ١٩٥٦ .
١٠. التبيان في تفسير القرآن / أبو جعفر الطوسي ؛ تعليق أحمد شوقي الأمين ورفيقيه . – النجف الأشرف : المطبعة العلمية .
١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن / ابو جعفر الطبري . – مصر : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٤ .
١٢. جمهرة اللغة / محمد بن الحسن ابن دريد .- بغداد، ١٣٤٥ هـ، ط ١ .
١٣. دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني؛ تح محمود محمد شاكر .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٤ ،ط٥
١٤. الذريعة إلى أصول الشريعة/ الشريف المرتضى ؛ تح أبو القاسم كرجي . – طهران ، ١٣٤٨ هـ.
١٥. روح المعاني / شهاب الدين البغدادي ؛ تح محمد أحمد. – بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٦. شرح أسماء الله الحسنى / أبو حامد الغزالي . – بغداد : المكتبة الحديثة ، ١٩٩٠.
١٧. شرح الشافية / رضي الدين الاستربادي ؛ تح محمد محي الدين . – بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ .
١٨. شرح المفصل / ابن يعيش . – دار الطباعة المنيرية.

١٩. العطف بحرف الواو في القرآن الكريم / د. رياض كريم البديري .- مجلة بابل للعلوم الإنسانية : جامعة بابل ، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الأول في كلية التربية ، مج ١ لسنة ٢٠٠٧ .
٢٠. في معرفة النص / د. حكمت الخطيب . – بيروت : دار الآفاق ١٩٨٤ .
٢١. الكتاب / أبو بشر سيبويه.- بولاق :المطبعة الأميرية ،١٣١٦،ط١ .
٢٢. الكشاف / ابو القاسم الزمخشري ؛ تح عبد الرزاق المهدي . – بيروت :دار إحياء التراث ،٢٠٠١، ط٢ .
٢٣. الكليات / ابو البقاء الكفوي . – تبريز : مطبعة دولتي ، ١٢٨٦ .
٢٤. لسان العرب/جمال الدين بن منظور.ـــ لبنان:دار احياء التراث العربي
٢٥. اللغة والفكر/د.نوري جعفر .ـــ الرباط:مكتبة التومي،١٩٧١
٢٦. اللغة والمعنى والسياق/جون لاينز؛ ترجمة د.عباس صادق؛ مراجعة د.يوئيل عزيز.ـــ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧، ط١
٢٧. المثل السائر/ ضياء الدين بن الأثير؛تح محمد محي الدين.ـــ بيروت :المكتبة العصرية،١٩٩٩
٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن/الفضل بن الحسن الطبرسي؛تح لجنة من العلماء.ـــ بيروت : مؤسسة الأعلمي،١٩٩٥، ط١
٢٩. المخصص/ابن سيدة.ـــ بيروت:المكتبة التجارية للطباعة،١٣٢١ هـ
٣٠. المزهر في علوم اللغة/جلال الدين السيوطي؛ محمد أبو الفضل .ـــ بيروت: دار الفكر.
٣١. معاني الأبنية في العربية/د.فاضل السامرائي .ـــ الكويت: جامعة الكويت،١٩٨١، ط١ .
٣٢. معاني القرآن/يحيى بن زياد الفراء؛تح احمد يوسف.ـــ مصر: الهيئة المصرية العامة،١٩٨٠، ط٢ .
٣٣. المعنى الأدبي/وليم راي؛ترجمة يوئيل يوسف عزيز.ـــ بغداد:دار المأمون،١٩٨٧، ط١ .
٣٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/جمال الدين بن هشام الأنصاري؛تح مازن مبارك .ـــ مصر : دار الفكر،١٩٨٥
٣٥. المقتضب/أبو العباس المبرد؛تح محمد عبد الخالق.ـــ القاهرة
٣٦. الميزان في تفسير القرآن/محمد حسن الطباطبائي .ـــ ايران: مؤسسة الإمام المنتظر(ع)،٢٠٠٤، ط١ .
٣٧. النص القرآني من الجملة إلى العالم/وليد منير.ـــ القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٧ .
٣٨. نهج البلاغة /أمير المؤمنين علي /جمع الشريف الرضي ؛شرح محمد عبده.– بيروت ؛دار المعرفة.